

سفر الرؤيا

الملك وملكوته

الدرس
الثالث



كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:
Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندريك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيٍّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنْتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

١ . المقدمة

٢ . الملكية

أ . ملكية الله

ب . ملكية المسيح

٣ . الإحسان

أ . العهد القديم

ب . العهد الجديد

١ . انتصار المسيح

٢ . قوة الروح القدس

ج . كتاب الرؤيا

٤ . الولاء

أ . الثبات

ب . العبادة

١ . الفداء الماضي

٢ . الإكرام الحاضر

٣ . البركات المستقبلية

٥ . النتائج

أ . اللعنات النهائية

ب . البركات النهائية

١ . تجديد الخليقة

٢ . الهيكل الشامل

٣ . الحكم الأبدي

٦ . الخاتمة

سفر الرؤيا

الدرس الثالث

الملك وملكوته

المقدمة

بعد إلقاء القبض على المسيح، أحضروه أمام بيلاطس البنطي، وسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود؟ لم يُجب المسيح عن السؤال مباشرة، بل قال: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ... لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا". لا شك أن بيلاطس كان يعرف قيصر ورأى قصره. فكانت لديه فكرة واضحة كيف يبدو المَلِك في جلاله. وها هو هذا الرجل يقف أمامه ولا يبدو عليه أي علامةٍ كملك. تخيل كيف بدت كلمات المسيح غير معقولةٍ له.

ربما حتى المؤمنون اليوم قد يتساءلون هل المسيح ملكٌ بالفعل. فإن نظرنا حولنا، من السهل أن نرى المقاومة لملك الله في كل العالم. لكن إجابة المسيح عن سؤال بيلاطس هي أحد المواضيع البارزة في سفر الرؤيا. فالمسيح يحكم كملك، لكن مملكته ليست من هذا العالم. ويقدم لنا سفر الرؤيا الرجاء بأن ملكوت المسيح آتٍ. يمكننا أن نختبره الآن جزئياً، لكننا سنختبره بشكل كامل عندما يعود المسيح. ولأن الانتصار الكامل في هذا العالم هو للمسيح، يدعونا يوحنا أن نحبه وأن نظل مخلصين له حتى عودته.

هذا هو الدرس الثالث في سلسلتنا حول كتاب الرؤيا، وقد أعطيناه العنوان "الملك وملكوته". في هذا الدرس نستكشف كيف أن موضوع ملكوت الله الرئيسي حاضر في كل كتاب الرؤيا ويشكل القاسم المشترك بين التعاليم المختلفة التي يتناولها هذا الكتاب.

ذكرنا في درس سابق، أن الله يحكم في ملكوته بطرق تشبه الاتفاقات القديمة بين الدول، لا سيما تلك التي بين الأباطرة العظام أو الملوك الأسياد والممالك التابعة التي تخدمهم. كما سلطنا الضوء أيضاً على ثلاث سمات مشتركة لهذه الاتفاقات أو العهود في علاقة الله مع شعبه: فإحسان الملك السيد نحو الملك الخادم مثبته بإحسان الله نحو شعبه. والولاء أو الطاعة التي يطلبها الملك السيد من الملك التابع تشبه الولاء الذي يطلبه الله من شعبه. والنتائج التي تترتب عن ولاء الملك التابع أو عدم ولائه تشبه البركات التي يهبها الله لأولئك المخلصين له ولللعنات ضد غير المخلصين له. وهذه السمات الثلاث للعهد بارزة في كل كتاب الرؤيا.

ينقسم درسنا حول الملك وملكوته إلى أربعة أقسام تتبع تقريباً الخطوط العريضة لهذه العهود القديمة. أولاً، سننظر في الملكية أو منصب الله كالمك الإله أو الإمبراطور، وكذلك بملكية يسوع كملك خادم. ثانياً، سنستكشف الطريقة التي يسلط كتاب الرؤيا فيها الضوء على إحسان الله نحو شعب عهده. ثالثاً، سننظر في شرط الولاء الذي يطالب به الله شعبه. ورابعاً، سننتقل إلى النتائج التي تترتب على الولاء لله وعدم الولاء له. لنبدأ مع ملكية الله كالسيد الإله ويسوع التابع له.

الملكية

ستركز مناقشتنا لملكية الله ويسوع على مسألتين. الأولى، تفحص ملكية الله كالسيد على كل الخليقة.

والثانية، وصف ملكية المسيح كالمك الخادم لله. لنبدأ بالنظر في ملكية الله.

ملكية الله

أجزاء كثيرة من الكتاب المقدس، مثل المزمور ١٠٣: ١٩، تصف الله كملك كَلِي القدرة، ومتسلط على كل الخليقة. وله القدرة الكاملة والسلطان على كل ما خلقه. وهو يمارس تلك القدرة وذلك السلطان من خلال إدارته للكون وجميع المخلوقات التي فيه.

يحقّ لله أن يملك على الخليقة كلّها لأنّه هو الخالق. هو صنعها. والخليقة تخصّه. وله الحقّ في أن يملك عليها. وهناك عبارة في المزمور ٢٤: ١-٢ تبرز صحّة ذلك: لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا. لِأَنَّهُ عَلَى الْبِحَارِ أَسَّسَهَا وَعَلَى الأَنْهَارِ ثَبَّتَهَا. هو إذاً يملكها. هو يملك عليها لأنّها صنع يديه، فهي تخصّه.

—الدكتور روبرت تشزيم

لا يستمد الله سلطته من مصدر آخر، فهو سلطان نفسه. وهو يملك السلطان المطلق في كل صفاته. لكن طبعاً ليس ذلك السلطان الذي ألفناه كبشر، ذا أوجه الطغيان والاستبداد والتعسف، بل السلطان المتصف بالخير والصلاح لأنّ الله صالح... ويمكننا الوثوق بسلطانه لأنّ مسيرته لا تشويها شائبة. وأقوى برهان على سلطانه هذا، هو بلا شكّ إرساله ابنه ليموت عن خطايانا وقيامته من بين الأموات لتبريرنا. ولا تقدم فلسفة أو إله ما، طريقاً مشابهاً. لا شكّ في أنّ سلطان الله قائم في ذاته، لكنّه تبرهن مرّة بعد مرّة بعمل يسوع المسيح.

—الدكتور ويليام إدغار

غالباً ما يتحدث كتاب الرؤيا عن الله كملك الخليقة الأعظم، ويشدّد على ملكه الفعال والقوي على كل الكون. ونجد ذلك في تحية يوحنا إلى قرائه في الرؤيا ١: ٤-٦. يصوّر الفصلان ٤ و ٥ من كتاب الرؤيا مشهداً مذهلاً عن البلاط السماوي. ونجده أيضاً في حقيقة تجمع الجموع من كل قبيلة أمام عرش الله السماوي وتسيّحه في الرؤيا ٧: ٩-١٠. كما يمكن أن نرى ذلك أيضاً في تسبيح الملائكة في العددين ١١ و ١٢. ونجد ذلك في الإشارات المستمرة إلى الله وهو جالس على عرشه في باقي كتاب الرؤيا.

كمثل واحد فقط اصغ كيف يُحْيِي يوحنا كنائس آسيا الصغرى في الرؤيا ١: ٤-٦:

يُوحَنَّا إِلَى السَّنْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسْيَا: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، وَمِنَ السَّبْعَةِ الأَرْوَاحِ الَّتِي أَمَامَ عَرْشِهِ، وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبُحْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَبِّيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ: الَّذِي أَحْبَبْنَا، وَقَدْ عَسَلْنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلْنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ،

لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ.

لاحظ عدد الإشارات إلى ملكوت الله في هذه الأعداد القليلة. فالله على العرش؛ ويسوع يملك على ملوك الأرض؛ والكنيسة هي الملكوت الذي يخدم الله.

إن ملكوت الله موضوع له وزنه في الكتاب المقدس، ويتفق الجميع إلى حد كبير على كونه الرسالة الرئيسية التي تناولها يسوع في تعليمه. فما معنى ملكوت الله؟ ملكوت الله يعني أن الله هو الملك، وأنه هو السيد والرب على هذا الكون. وإذا انطلقنا من الإعلانات والشواهد الكتابية المتعلقة بملكوت الله، نرى بالفعل أن الكتاب المقدس يركّز على نقطتين: الأولى، هي أن الله هو الرب السيد على كل الأشياء من البداية إلى النهاية؛ فهو الملك في كل الأزمنة وفي كل الكون. والثانية، هي تجلي تلك الملكية من خلال ربوبيته على كل البشر في كل العصور.

—الدكتور مارك ستراوس

إن ملكوت الله هو ملك الله الشرعي الحقيقي على البشر الذين يقرون بملك الله الشرعي على حياتهم، ويخضعون لربوبيته ولسيادته بكل محبة وثقة وعن طيب خاطر. وذلك يعني أن الكنيسة هي، بطريقة ما، الوجه المرئي لملكوت الله. الكنيسة في الوقت الحالي هي السبيل لظهور ملكوت الله في الخليقة وعلى مر التاريخ، إلا أن هذا الخضوع الذي نعيشه اليوم ليس سوى باكرة. ففي نهاية المطاف، سوف يجدد الله كل شيء. وسوف يقضي على كل عدو. ويزيل كل عائق يحول دون معرفتنا التامة لشخصه وطاعتنا الكاملة له. فالله سيزيل تلك العراقيل. وهذا بحسب وعده النهائي. غير أننا في الوقت الحاضر، نشارك في ملكوت الله بطريقة توقعية عن طيب خاطر وبمحبة وحرية من خلال قبولنا خلاص الله وربوبيته على حياتنا في يسوع المسيح. وبهذه الطريقة تشهد الكنيسة على هبة الملكوت النهائية التي وعد بها "في الأيام الأخيرة".

—الدكتور ستييف بليكمور

كما هي الحال بالنسبة لأباطرة الشرق الأدنى القديم، عين الله خداماً لينفذوا أوامره، ملوكاً تابعين يسودون على مملكته ويديرونها بالنيابة عنه. بشكل عام أسند الله هذا الدور إلى الجنس البشري، تحت رئاسة سلسلة من مدبري العهد.

كما رأينا في درس سابق، نشأت تدبيرات العهد في ستة عهود رئيسية قطعها الله مع شعبه: وهي العهود مع آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وداود والمسيح. العهدان الأولان المقطوعان مع آدم ونوح حدداً الله كالمملك السيد على كل الأرض، والجنس البشري كالأمة التابعة التي نفذت مشيئته على الأرض. وتحت أحكام هذه العهود، تستمر سيادة الله بالامتداد إلى كل أمم الأرض ويبقى كل شخص مسؤولاً أمامه.

بعد عهديه مع آدم ونوح، قطع الله عهداً مع إبراهيم وموسى وداود ما بسط ملكه بطريقة مميزة على أمة إسرائيل القديمة.

كمثل واحد فقط، استمع إلى ما قاله الله لأمة إسرائيل القديمة في الخروج ١٩: ٤-٦:

أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنَحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنَّ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الْأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً.

في هذا المقطع، يذكر الله بني إسرائيل بالإحسان الذي أظهره نحوهم عندما فداهم من العبودية في مصر. وأشار إلى مسؤولية بني إسرائيل بإظهار ولائهم من خلال الطاعة للعهد الذي قطعه معهم. وأشار إلى البركات التي سينالونها إن هم أطاعوا العهد.

في العهد مع داود بصورة خاصة، ثبتت الله سلالة داود الملكية كقناة لبركات الله ودينوناته على شعبه. ويشار إلى هذا العهد في مقاطع مثل ٢ صموئيل ٧: ١-١٧، والمزمورين ٨٩ و ١٣٢. وهو يعلن أن أبناء داود هم ملوك الله التابعين وهم يمثلون كل مملكة إسرائيل أمام الله. وكما هي الحال في كل العهود الأخرى، أظهر الله إحسانه، وتوقع الولاء وذكر بيت داود بنتائج بركاته ولعناته.

لاحقاً في تاريخ إسرائيل، فشل المتحدرون من نسل داود فشلاً ذريعاً، بحيث وقعت كل أمة إسرائيل تحت قصاص الله وسيقت إلى السبي. ولكن حتى في السبي، تنبأ أنبياء إسرائيل أنه في الأيام الأخيرة سيجدد الله عهده من خلال ابن بار لداود. وفي إرميا ٣١: ٣١، يشير النبي إرميا إلى هذا التجديد بالعهد الجديد. وهذا العهد الجديد سيكون ذروة إظهار الله لإحسانه: فهو سيحوّل قلوب شعبه بحيث تصبح موالية له. وهم سيتمتعون ببركات العهد الأبدية، ولن يقعوا تحت القصاص من جديد. وفي الوقت نفسه، سينزل الله الدينونة الأبدية على كل الذين عارضوه، وعارضوا ملكه الخادم وشعب مملكته.

وكان القصد دائماً من عهود الله مع داود وشعب إسرائيل في القديم، أن تمتد بركات العهد أبعد من داود وإسرائيل. وكان من المفترض من ملك الله على بيت داود أن يفيد أمة إسرائيل بأسرها، وأن يستفيد العالم بأسره من بركات إسرائيل. ونرى ذلك في المزمورين ٢ و ٦٧؛ وإشعيا ٢: ٢-٤ و عاموس ٩: ١١-١٥. سيرسل الله فادياً من خلال بيت داود، وهذا الفادي سيخلص إسرائيل. ومن خلال إسرائيل سيخلص الخليقة بأكملها.

وفي الوقت الحاضر، الله يفدي الكنيسة من خلال المسيح، ويدخلنا في شركة مع شعب عهده المقدس. ونتيجة لذلك، فإن الكنيسة هي الآن امتداد لذلك التراث الروحي الواحد مع أمة إسرائيل في العهد القديم.

استمع كيف يُعبّر عن علاقة العهد هذه في الرؤيا ١: ٥-٦:

وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ... الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَلْنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مَلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ.

وتشير هذه الأعداد أنه بما أن يسوع مات ليحررنا من خطايانا، صرنا الآن ملوكاً لله، وشعبه الخاص. ونحن

نحمل الآن اللقب ذاته الذي أعطاه الله لإسرائيل في العهد القديم: ملوكاً وكهنة. أعطى الله هذا اللقب لإسرائيل القديمة في الخروج ١٩: ٦، حيث كانت إحدى بركات العهد أن يكونوا: مَمْلَكَةٌ كَهَنَةٌ وَأُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ.

لقد شكّلت طبيعة ملكوت الله موضوع جدل بالنسبة إلى الكثيرين عبر العصور. ورغم أن الكتاب المقدس يقدم تصوراً واضحاً عن ملكوت الله، إلا أن ما تعنيه هذه العبارة بالتحديد لظالمنا كان موضع خلاف. رغم ذلك، أعتقد أنه يمكننا القول إن ملكوت الله، في الجوهر، وفي العمق، يصف ملك الله في العالم، وفي الكنيسة، وفي قلب الإنسان البشري، بحيث إننا إن كنا نعيش الحياة التي أوصى بها الله في الكتاب المقدس يمكننا القول إننا نشارك في ملكوت الله.

—الدكتور جون أوزوالد

ما هو ملكوت الله؟ في الواقع يمكننا أن نصف ملكوت الله بعدة طرق، لكن الطريقة الأجدى هي القول إنّه موجود حيث يُعترف بملك الله، إنّه العالم الذي يتتّبث فيه ملك الله من خلال ملكه، وهذا يؤدي إلى حمد الله وتمجيده، وتظهر نتائجها في شتى أساليب العيش على الأرض. وهكذا نرى موضوع ملكوت الله يأخذ حيزاً بارزاً جداً في تعليم يسوع. وما نراه في العهد الجديد هو يسوع، ذلك الملك الذي أتى بملكوت الله بقوة إلى عالمنا. ويمكن التعبير عن هذا بكلمة "ثوران"، خرق، دخول الله بقوة واندفاع إلى عالمنا بواسطة ملكه المسيحاني. وإحدى الطرق الممتازة لتعريف ملكوت الله هي كما يقول جيراردوس فوس يأتي الملكوت حيث ينتشر الإنجيل، وتتغير القلوب ويتم التغلب على الخطية والخطأ، حيث ينمو البرّ وتتوطد شركة حارة مع الله.

—الدكتور براندن كرو

كان هدف الله دائماً أن يمتد ملكوته السماوي إلى الأرض، وأن يقطنها شعبه الأمين. أما في السماء، فإن إرادته سبق وتمت بشكل كامل. لكن على الأرض، فإن خلائقه ترفض أن تتّم إرادته. يرفضون أن يُقرّوا بالله كملك، وممالك هذا العالم غالباً ما تقاوم ملك الله. من هنا، عندما صلى يسوع الصلاة الربانية، طلب أن تنهزم في يوم من الأيام كل هذه الممالك المعارضة، بحيث لا يبقى سوى ملكوت الله.

استمع كيف يتحدث كتاب الرؤيا ١١: ١٥ عن ذلك اليوم المستقبلي:

فَدَّ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ.

ملكوت الله المميّز سيثبت حتى ينتصر ويملاً العالم بكامله. هذه هي الغاية النهائية للنبوّة الكتابية. عندما يعود يسوع بمجده، فإن ملك الله المميّز سيضم كل ممالك الأرض. ونجد التعليم حول هذا الرجاء في إرميا ٣١: ٣١-٣٤، وزكريا ١٤: ٩، ومقاطع أخرى كثيرة في الكتاب المقدس.

يفوق مُلك الله بكثير التشبيهات الموجودة في الشرق الأدنى القديم. ففي العالم القديم، لم يفِ الملوك الأسياد البشريون تماماً بالإحسان الذي وعدوا به في عهودهم. ولم يقيّموا أبداً ولاءً رعاياهم بشكلٍ كاملٍ، كذلك لم يطبّقوا بعدل نتائج العهد. أما في العهد مع الله فإن ملكنا السماوي يفي تماماً بوعود إحسانه. وهو يقيّم ولاءنا بشكلٍ كاملٍ. وهو يطبّق التأديب الكامل والدينونة في شكل نتائج بركات العهد ولعناته. وكما سنرى بعد قليل فقد أرسل الله يسوع المسيح ابنه الملك ليكون مخلصاً بالكامل لله نيابة عنا، وليحمل نتائج عدم ولاءنا بحيث يمكن أن ننال الخلاص فيه. انطلاقاً من هذا الفهم لملكية الله الشاملة في ذهننا، بتنا مستعدين أن ننقل إلى الموضوع المتصل أي ملكية المسيح كخادم الله أو الملك الخادم.

ملكية المسيح

نحتاج إلى أن نفهم ملكية يسوع على ضوء ملكية داود في القديم لأن يسوع حقّق ما كان متوقّعاً من داود. هو المسيح المنتظر. وطبعاً، في العهد القديم، تشكّلت ملكية داود على مثال ما نسمّيه بالعلاقة بين الملوك الأسياد والخاضعين لهم والذي نراه في الشرق الأدنى القديم حيث يملك الملك السيّد على أتباعه عادةً بموجب اتفاقيات. وداود هو الملك المختار من الله ليملك على العالم. فبمعنى ما، الله اختار داود ليكون وصياً على عرشه ليمثّله ويملك بالنيابة عنه. وبالطبع يسوع هو من سيحقّق ذلك في النهاية.

—الدكتور روبرت تشزيم

قد يبدو غريباً أن نفكر بيسوع كالمملك الخادم بدل الملك السيّد على كل الكون. طبعاً، يسوع هو الابن الإلهي، ولكونه ابن الله وكلمته هو شريك الله في الخلق والسيّد على كل ما هو موجود. ونقرّ بقوة أن يسوع هو إله كامل، لكن من المهم أن نتذكّر أن يسوع ليس إلهاً فقط. فهو إنسان كامل. ولكونه المسيح في تجسده البشري، هو يجلس على العرش البشري لأبيه داود، الذي شغل وظيفة الملك البشرية على أمة الله التابعة، أي إسرائيل القديمة. بهذا المعنى، فإن ملكية يسوع المسيح هي وظيفة بشرية. وبالتالي، يسوع هو خادم الله، كما كان داود في العهد القديم.

إنّ بنية العهد في الكتاب المقدّس تعود جذورها إلى الاتفاقيات التي كانت تتمّ بين الملوك في الشرق الأدنى القديم. فكثيراً ما كان الملك السيّد بمثابة الملك الأعظم وكانت تربطه بملك تابع علاقة عهد أو ميثاق. ويتكلم كتاب الرؤيا عن يسوع كالأسد الذي من سبط يهوذا، كالمملك، الملك المتحدّر من سلالة داود. وهذا الكلام يكشف عن بضعة أمور. أحدها أنّ يسوع لم يعلن من هو الله فحسب، لكنّه أعلن أيضاً ناسوته الحقيقي، الطبيعة البشرية الحقيقية. وهكذا، فالحديث عنه في العهد الجديد كابن لداود، كابن لله، يشير غالباً إلى دوره كالمملك المتحدّر من سلالة داود، المسيح المنتظر. وبهذا المعنى هو يمثّل شعباً تاريخياً. ففي كتاب الرؤيا نرى

شعب الله منتشراً بين كل الأمم، ويسوع هو ملكنا، هو ممثّلنا عند الآب أو الملك السيّد. هو إذًا ملكنا عبر التاريخ، على مرّ الزمن، إنه إنسانٌ كاملٌ ممثّلٌ لشعبه أمام الله الآب. بالطبع هو ممثّلٌ لله بالنسبة لنا، لكنّ ذلك لا ينتقص من حقيقة كونه أيضاً إنساناً كاملاً وممثّلنا أمام الله.

—الدكتور غريغ بييري

اسم المسيح هو لقب يشير مباشرة إلى وظيفة داود الملكية. وكلمة المسيح تشير ببساطة إلى الممسوح. وهو تعبير استخدم غالباً في العهد القديم للإشارة إلى الملوك من سلالة داود لأنهم مسحوا عند توليهم منصبهم الملكي. ونجد ذلك في أماكن مثل ٢ أخبار ٦: ٤٢، والمزمور ٢: ٢، ٦، والمزمور ١٨: ٥٠، والمزمور ٢٠: ٦ و ٩ والمزمور ٤٥: ١-٢. ولهذا السبب دُعي يسوع بمسيح الله في مواضع مثل الرؤيا ١١: ١٥ و ١٢: ١٠. فهو الشخص الممسوح من الله، ملكه الخادم.

كحفيد داود العظيم، تمّ يسوع كل نواحي العهد الجديد التي أنبئ عنها في العهد القديم. ففيه ظهر إحسان الله الأسمى. وقد حفظ يسوع كل متطلبات الولاء نيابة عنا. وقد عانى من نتائج مخالفتنا العهد عندما مات نيابة عنا. وقد نال نتائج بركات العهد عندما قام من الموت وصعد إلى السماء. وقد ضمن يسوع مكانه في السماء كملك الله البشري الخادم بموته على الصليب وقيامته من بين الأموات. وبموته أبطل كل سلطة للخطية تقود إلى دينونة وهلاك شعب الله.

وكما نقرأ في الرؤيا ١٢: ١٠-١١:

الآن صار خلاص إلهنا وقدّرته وملكه وسلطان مسيحه، لأنه قد طرح المشتكي على إخوتنا، الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً. وهم غلبوه بدم الخروف.

وبفضل ذبيحة المسيح على الصليب، غلب الشيطان. وصار للمسيح الآن سلطان في ملكوت الله، بحيث ينال شعبه خلاصه.

وقد أحرزت طاعة يسوع له مكافأة القيامة من الموت ومركز سلطة أعلى بكثير من أي سلطة مخلوقة، سواء بشرية، أو ملائكية أو شيطانية.

وكما قال بعد قيامته في متى ٢٨: ١٨-١٩:

دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم.

طبعاً، كان لابن الله دائماً السلطان لكونه وارث الله أبيه في كل شيء. فهو امتك دائماً ذلك السلطان. وبعدها قام من الموت، صرح يسوع لتلاميذه بذلك مذكراً لهم لكي ينشروا رسالته مزودين بسلطانه، وليفهموا أن الله أعطاه السلطان على كل الشعوب، وأنه أصبح ملك الآب على كل السماوات والأرض.

بعد قيامته، عندما صعد يسوع إلى السماء، تربع على العرش كملك. ويوضح العهد الجديد ذلك في مقاطع مثل العبرانيين ١: ٣، ١٠: ١٢، ١٢: ٢ عندما يقول عن يسوع إنه جلس عن يمين عرش الله الآب. وهذه اللغة المجازية تشير إلى أن الآب هو الملك الأعلى أو السيد، ويسوع ابنه هو الملك الخادم الذي يخدمه ويمثله بين البشر. يسوع هو الملك النهائي على بيت داود، وعلى كل الممالك البشرية الأخرى على الأرض. ومن خلاله سيتجدد العالم بأسره. ومنذ تربيته على العرش، ملك يسوع كملك على الكنيسة. وقد بسط ملكوته من خلال إيصاله الخلاص إلى أقاصي الأرض.

في تناقضٍ صارخٍ مع الملوك البشريين، أرسل الله ابنه كالمملك الخادم الكامل ليقتني فدائنا على حساب الصليب. وقد برهن عن ولاءه في حياته الأرضية وتحمل على الصليب نتائج عدم ولاءنا. فبذل حياته ليشتري لنا الغفران والولاء، وما زال مستمرًا في الدفاع عنا وحمايتنا. وينبغي علينا أن نتجاوب مع حكمه الرؤوف بمحبةٍ وقورةٍ نعبر عنها بطاعة مخلصه لملكنا وإلهنا صاحب الإحسان.

والآن بعد أن بحثنا في ملكية الله الآب كسيد وملكية يسوع كخادم الله، دعونا ننظر إلى الطريقة التي يصف فيها كتاب الرؤيا إحسان الله بعلاقته بملكوت الله.

الإحسان

يمكننا أن نرى إحسان الله كسيد العهد بطرق عديدة في كتاب الرؤيا. دون شك كان إحسان الله الأسمى إرسال ابنه ليموت عن خطايانا. وهذا الموضوع مشار إليه في أماكن مثل الرؤيا ١: ٥؛ ٥: ٩-١٠، ٧: ١٤ و ١٤: ٤-٣.

لكننا نرى أيضاً إحسان الله الملوكي نحو شعبه بالطريقة التي يدعونا فيها إلى نفسه ويجعلنا جزءاً من ملكوته، كما نرى في الرؤيا ١: ٦، ١١: ١٥ و ١٧: ١٤.

وهو من خلال لطفه ألقى شعبه من الكثير من الدينونات التي تهدد غير المؤمنين في هذا الكتاب، مثل الرؤيا ٧: ٣-٤ و ٩: ٤.

وحتى التحذيرات النبوية للكنائس في الرؤيا هي فرص من إحسانه لكي نتوب. وقد لجم الله حكمه لكي يتمكن شعبه من أن تكون لهم الفرصة ليتجنبوا الإدانة. وقد دَوَّن يوحنا هذا النوع من الإحسان في الرؤيا ٢: ١٩، ١٦، ٢١ و ٣: ٣، ١٩.

لكن الطريقة الأكثر شيوعاً التي نرى فيها نعمة الله ولطفه في كتاب الرؤيا هي من خلال دفاعه عن شعبه وسط الحرب الروحية. من هنا، سنركز في هذا الدرس، على بحثنا حول إحسان الله بالتحديد على الطريقة التي يحمي بها الله شعبه من أن يهلكوا وسط الصراعات.

إنَّ الحرب الروحية هي واقع في حياة كلِّ مسيحي تقيّ. يجب أن نعي حقيقة وجود عالمٍ روحي، وحقيقة وجود للشيطان، وأنَّ تلك الأرواح لا ينوون لنا خيراً. وإن كان الشيطان قد شنَّ حرباً روحية على يسوع، فهو حتماً سيُشنَّ هجومه على المؤمنين اليوم وعلينا أن نكون له

بالمرصاد. وإن كان أول أمرٍ تعينَ ليسوع حين مرّ بالمدن العشر هو لقاء إنسان فيه روحٌ نجس، فهذه الأمور لا تزال موجودة في يومنا هذا، ويجب أن نتيقن أننا مقدّسون كما هو قدّوس فنأخذ هذه الحروب الروحية على محمل الجدّ.

—الدكتور مات فريدمان

الحرب الروحية في العهد الجديد، ليست بالدرجة الأولى صراعاتنا الداخلية مع الخطيئة، بل هي حرب مستمرة بين الله والقوى الروحية الشريرة التي تعمل في العالم. وإحدى الطرق التي ينخرط فيها الله في هذه المعركة هي عن طريق دفاعه عن ملكوته في وجه تلك القوى الشريرة. وكما ذكرنا آنفاً في درس سابق، غالباً ما يكشف لنا كتاب الرؤيا الأعمال في عالم الله الخارق للطبيعة والعالم غير الطبيعي للملائكة والأرواح الشريرة. ويتحدث عن تأثيرهم في العالم الطبيعي الذي نعيش فيه. وجوهر كل الحرب الروحية في حياة المسيحيين هو أن تلك القوى غير الطبيعية هي في صراع فيما بينها، وهي تؤثر في عالمنا، وأن الأرواح الشريرة تسعى إلى أن تخرب حياتنا وتجعلنا غير أوفياء لله، وأن الله يستخدم الملائكة ليحمينا من تأثير الأرواح الشريرة وأعمالها.

إن موضوع الحرب الروحية موضوعٌ معقّد جداً بالنسبة للمسيحيين لأن مظاهر الحرب الروحية تختلف بين شخصٍ وآخر. وإحدى النتائج المترتبة عن ذلك هي أنه غالباً ما يذهب المسيحيون بعيداً في مناقشتهم هذا الموضوع، فيتبنون غالباً رأيين متطرفين. طرفٌ يحاول تفسير كل ما يحصل عن طريق الطبيعة أو العلم، وينكر حقيقة الحرب الروحية. لكن لا يمكن بسهولة تفسير كل ما يحصل عن طريق العلم. وطرف آخر يجعل الأرواح الشريرة سبباً لكل ما يجري حوله، ويرى الحرب الروحية في كل الأمور التي تحصل. أظنّ أنّ الحقيقة تكمن في مكانٍ ما بين هذين الرأيين المتطرفين. فعندما نستعد لاجتماعات العبادة، أو نشترك فعلياً في نشاطات تبشيرية أو نقدم معونة روحية للآخرين، غالباً ما نواجه مقاومة روحية. ويمكن لهذه المقاومة أن تأخذ أوجه المرض أو مشاكل في العمل. ويمكن أن تظهر أمامك عراقيل من حيث لا تدري دون أن تجد لها تفسيرات منطقية. في الواقع إنّ عالماً مادي مخترق بالكامل من قبل العالم الروحي. لهذا السبب فإن العديد من الأمور الدنيوية الحاصلة في حياتنا من الممكن أن تكون صدى لأحداثٍ حاصلة في العالم الروحي. إلا أنّ السبب وراء هذه الأحداث ليس محور اهتمامنا الأول. فمن الممكن أن تكون وراءها قوى روحية، كما يمكن أن تكون نتيجة خطيئتنا. لكن أينما كنّا ومهما حصل لنا يجب أن نعي أنّ الرب يحفظنا وأنّه بإمكاننا أن نثق بقدرته - بقوّته. ويمكننا أن نستمدّ منه الدعم. وهذا يمنحنا الأمان مهما كانت المظاهر الروحية التي نواجهها. الحقيقة هي أننا ننتمي إلى الرب، جسداً ونفساً. فحتى شعرة من رؤوسنا لا تسقط إلا بإذن أبينا السماوي. لذلك يمكننا في أي مواجهة روحية، أن نلتزم الهدوء ونكون على ثقة تامة أنّ النصر سيكون حليف الرب وبالتالي حليفنا نحن أيضاً.

—القس إيفان بسبالوف

الانتصار مضمون للمسيحيين في الحرب الروحية، لا يوجد شيء يمكن للشياطين أن تفعله لتدمر خلاصنا أو لتَهزَّ ميراثنا في ملكوت الله. قد تكون الحرب الروحية مثبطة للعزيمة ومفشلة وحتى مرعبة. لكن بسبب إحسان الله، لا يمكن أبداً أن تنجح ضدنا على المدى البعيد.

نقسّم بحثنا في إحسان عهد الله إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول، النظر في الطريقة التي دافع فيها الله عن ملكوته في العهد القديم. القسم الثاني، درس كيف دافع الله عن ملكوته في العهد الجديد خارج كتاب الرؤيا. وثالثاً، التركيز على حمايته الثمينة في كتاب الرؤيا نفسه. لنبدأ بإحسان الله في العهد القديم.

العهد القديم

العهد القديم مليء بروايات المعارك. كانت إسرائيل غالباً في حرب مع الأمم المجاورة. وغالباً ما تحارب بنو إسرائيل فيما بينهم في أوقات مختلفة. لكن على الرغم من أن معظم أوصاف الحروب في العهد القديم تسلط الضوء على بشر يحاربون بأسلحة مادية، غالباً ما يكشف الكتاب المقدس النقاب ليبيّن لنا أن هناك معارك روحية تدور في الخفاء. في الواقع، تلك المعارك غير المنظورة تؤثر كثيراً على نجاح أو فشل الجيوش البشرية. وهذه المعارك غير المنظورة كانت دائماً تدور من جهة بين الله وملائكته القديسين، ومن جهة أخرى بين الشيطان وجنوده من الأرواح الشريرة. وعلى الرغم من أن معظم الجيوش البشرية التي قاومت إسرائيل كانت تعبد آلهة أخرى، فإن أعداداً مثل التثنية ٣٢: ١٧ تبين أن آلهة الشعوب المزيفة هم في الواقع أرواح شريرة.

يصور العهد القديم الملائكة والأرواح الشريرة كما لو أنها جزء من الصراع الجغرافي السياسي أو يقفون وراءه. ويبدو كما لو أن للملائكة والشياطين يداً في مجريات الأحداث والتطورات التي تحصل في الصراعات. على سبيل المثال، نرى في دانيال ١٠ نموذجاً عن ذلك عندما جاء الملاك جبرائيل إلى دانيال وقال له: سَمِعَ كَلَامَكَ وَأَنَا أَتَيْتُ لِأَجْلِ كَلَامِكَ. وَرَبِّيسُ مَمْلَكَةِ فَارِسَ وَقَفَ مُقَابِلِي ... وَهُوَذًا مِيخَائِيلُ وَاحِدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ الْأَوَّلِينَ جَاءَ لِإِعَانَتِي. نصوص كهذه تبدو غامضة إلى حد ما ويصعب فهم ما تعنيه تماماً أو إدراك كيف جرت تطورات هذه الأحداث وما كانت مجريات هذا الصراع. لكننا نرى أن الملائكة والشياطين هم بطريقة ما وراء هذا الصراع الجغرافي السياسي. فبالنسبة لقراء العهد القديم، لم تكن هذه الصراعات بين الشعوب أحداثاً طبيعية بشرية بحتة، بل كانت نتيجة لصراعات خارقة للطبيعة وراء الستارة. كان هناك صراع بين الملائكة والأرواح الشريرة. جيوش خارقة للطبيعة تتقاتل بالطريقة نفسها التي تتقاتل فيها الجيوش على الأرض. وقد فهموا خلفية كل ما كان يجري حولهم. وهكذا لم يُفاجأ دانيال عندما علم أن جبرائيل مُنِعَ من المجيء إليه أو أُعيق بسبب ما كان يحصل مع رئيس فارس.

—الدكتور سكّت رد

مجموعة من الأمثلة التي تسلط الضوء على المعارك غير المنظورة بين الملائكة والأرواح الشريرة يمكن أن نجدها في الخروج ٧-١٥. في أيام موسى، كان شعب الله مستعبداً للمصريين. لكن الله دفع جيوشه الملائكية لتدخل في حرب ضد مصر وألهتها الوثنية، ليُنَجِّي شعبه من جورهم. وبدأ عن طريق إنزاله عشر ضربات بالمصريين، ومن ضمنها ملاك الموت الذي قتل البكر في كل بيت من بيوت المصريين. ثم في ذروة استعلائه لقوته، خلص شعبه عن طريق إغراق الجيش المصري في البحر الأحمر.

إحدى الصور الرئيسية التي يظهر فيها الله في كل الكتاب المقدس، في عهده القديم والجديد، هي صورة المحارب. وأحد أشهر المقاطع طبعاً، هو الخروج ١٥: ٣، حيث أنشد موسى عند عبور البحر الأحمر بعد هزيمة المصريين فقال: الرَّبُّ رَجُلُ الْحَرْبِ. الرَّبُّ اسْمُهُ. وكلمة رب هي ترجمة لاسم الله يهوه وهي مختصر لعبارة يهوه صباووت التي تعني رب الجنود. فما ورد هناك على لسان موسى في الخروج ١٥: ٣ هو إعلان أنه في صميم هوية الله، في جوهر شخصه، تكمن فكرة المحارب. الله رجل الحرب.

—الدكتور ريتشارد برات الابن

ثم في الخروج ١٥: ١١ رثم موسى:

مَنْ مِثْلَكَ بَيْنَ الْآلِهَةِ يَا رَبُّ؟ مَنْ مِثْلَكَ مُعْتَزِّلاً فِي الْقُدَّاسَةِ، مَخُوفاً بِالسَّابِيحِ، صَانِعاً عَجَائِبَ.

عرف موسى وقرأؤه الإجابة عن هذا السؤال: لا يوجد آلهة مثل الرب. في النهاية كانت آلهة المصريين عاجزة بالكامل عن منع الإله الحقيقي من تدمير جيش المصريين بكامله. والعهد القديم مليء بالأمثلة المشابهة. وقد عرف الله غالباً عن نفسه كملك إسرائيل المحارب الذي قادهم في المعركة. لكن هذه المعارك لم تكن مجرد معارك ضد آلهة بشرية فحسب؛ بل كانت تتضمن دخول الله في حرب مع آلهة الأمم المزيفة.

على سبيل المثال، في ٢ ملوك ١٩، استهزأ سَنَحَارِيبُ ملك آشور بحَرْقِيَّا ملك يهوذا، إذ آمن سنحاريب أن آلهة الأشوريين هي أقوى من إله إسرائيل.

لذا رفع حَرْقِيَّا في ٢ ملوك ١٩: ١٧-١٩ هذه الصلاة إلى الله:

حَقًّا يَا رَبُّ إِنَّ مَلُوكَ أَشُورَ قَدْ خَرَبُوا الْأُمَّمَ وَأَرَاضِيَهُمْ، وَدَفَعُوا آلِهَتَهُمْ إِلَى النَّارِ. وَلَأَنَّهُمْ لَيْسُوا آلِهَةً، بَلْ صَنَعَهُ أَيْدِي النَّاسِ: خَشَبٌ وَحَجَرٌ، فَأَبَادُوهُمْ. وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ الْهِنَا خَلَّصْنَا مِنْ يَدِهِ، فَتَعَلَّمْ مَمَالِكُ الْأَرْضِ كُلُّهَا أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الْإِلَهُ وَحَدِّكَ.

فهم حَرْقِيَّا أن المعركة مع الأشوريين لم تكن مجرد معركة ضد سنحاريب وجيوشه. بل هي حرب روحية بين

الرب وآلهة آشور. لذلك صلى ليس لمجرد انتصار في المعركة، بل ليتمجد الله فوق آلهتهم. واستجاب الله لصلاته. وقتل في تلك الليلة ملاك الرب من جيش آشور ١٨٥٠٠٠، ورجع سنحاريب إلى بلده مهزوماً. ولم يحتج جيش حزقياً أن يواجه الآشوريين في المعركة. ففوة الله الروحية قضت بالكامل على الجيش البشري.

إحدى أهم الصور عن الرب في العهد القديم هو دور الله كملك، وانطلاقاً من دوره هذا تترتب عليه واجبات متعدّدة تماماً كأبي ملك من ملوك الشرق الأدنى القديم، واجبات ووظائف متعدّدة تلقي الضوء على دوره كملك. وإحدى هذه الوظائف كانت وظيفة المحارب. كما تعلمون، في الشرق الأدنى القديم، كان يُعتبر الملك قائد الجيوش، قائد جنود شعبه، وهكذا كان هو المحارب الأعظم. فكون الله أو الرب رجل حرب في كل العهد القديم يجعله يبرز كملك، ملك محارب. يخرج إلى الحرب ويدافع، ويقاوم عن شعبه، يحزّر ويحمي خاصته. ودور الله كملك محارب هو سبب تعزية وطمأنينة، لكن أيضاً سبب للثقة والأمان. فحين نخرج إلى العالم المحيط بنا، يمكن لشعب الله أن يكونوا على ثقة أنّ إلههم محارب وأنّه يخرج إلى الحرب ويقاوم عنهم ويدافع عنهم والنصر سيكون من نصيبه.

—الدكتور سكّت رد

قصص العهد القديم عن الحروب لا تتحدث بوضوح عن الصراعات الروحية بين إله إسرائيل الحقيقي وآلهة الأمم المزيّفة. لكن مع ذلك، يبرهن العهد القديم باستمرار أن المعارك المادية البشرية تقع إلى حد بعيد تحت تأثير المعارك الروحية.

والآن بعد أن رأينا كيف أظهر الله إحسانه عن طريق الدفاع عن ملكوته في العهد القديم، لننتقل إلى إحسانه في الحرب الروحية في العهد الجديد.

العهد الجديد

في العهد الجديد، لا تشمل الحرب الروحية قوات عسكرية أرضية. من هنا، وصفها لإحسان الله في الحرب الروحية، ينصب بالدرجة الأولى على النزاعات الغير مرئية في العالم غير الطبيعي، وكيف تؤثر تلك القوى الروحية على العالم الطبيعي. الآن كما هو الحال تماماً في العهد القديم، ما زال الله والملائكة والأرواح الشريرة منخرطين في الحروب البشرية والسياسات الدولية. لكن تركيز حماية الله الوافرة في العهد الجديد هي على كيفية حفظه لشعبه الأمين سالمًا من القوى الشيطانية.

مثل العهد القديم يشير العهد الجديد إلى طرق عدة يحفظ الله من خلالها شعبه. لكن من أجل الوقت، سنحصر بحثنا في نقطتين فقط. الأولى، حماية الله الصالحة في الحرب الروحية معبر عنها في انتصار المسيح.

انتصار المسيح

يصوّر العهد الجديد حياة يسوع وموته وقيامته وصعوده كانتصار ليس فقط على الخطية ونتائجها، لكن أيضاً على أعداء الله الروحيين.

انتصر يسوع في حياته على الأرواح الشريرة بطرق عدة، لا سيما كما هي مبرهنة من خلال طرد الأرواح الشريرة. ونرى ذلك في مقاطع مثل متى ١٢: ٢٥-٢٨، حيث علّم يسوع أنه كان قادراً على طرد الأرواح الشريرة بقوة وسلطان عظيمين لأن ملكوت الله قد أتى.

وفيما يتعلق بموت المسيح، استمع إلى ما كتبه بولس في كورنثوس ١: ٢: ١٥:

إِذْ جَرَدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلَاطِينِ أَشْهَرَهُمْ جَهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ.

في هذا العدد، الرياسات والسلطين هي قوى شيطانية. وقد جردها المسيح من سلطتها وغلبها في الصليب. ونجد هذه الفكرة ذاتها في العبرانيين ٢: ١٤.

كذلك قيامة يسوع وصعوده إلى السماء بسطت حماية الله الوافرة على شعبه. على سبيل المثال، نتج عنهما نوال يسوع السلطان على كل أعدائه الروحيين، ليتمكن من أن يحمي كنيسته ويباركها. وهذه الفكرة معلّمة بوضوح في متى ٢٨: ١٨-٢٠، وفي أفسس ١: ١٩-٢٣ و١ بطرس ٣: ٢٢.

الطريقة الثانية التي يتحدث فيها العهد الجديد عن ملكية الله الصالح في الحرب الروحية هي من خلال وصفه قوة الروح القدس التي تمكّنا من مقاومة إبليس ومخططاته.

قوة الروح القدس

اكتسب يسوع كل سلطان على كل أعدائه وأعدائنا الروحيين عندما عاش في طاعة الله، ومات على الصليب، وقام من بين الأموات وصعد إلى السماء. لكنه في الوقت الحاضر، لم يستخدم ذلك السلطان ليقضي على أعدائنا بالكامل. في الواقع، ما زال الله يسمح للأرواح الشريرة أن تؤثر في العالم بطرق متنوعة. لكنه قوّانا أيضاً بروحه القدس، لكي نتمكن من أن نقاومها. ونجد ذلك في غلاطية ٣: ٢-٣، وفي أفسس ٣: ١٦ وكورنثوس ١: ٩-١١، وأماكن أخرى كثيرة.

وأقدم مثلاً على ذلك، استمع إلى يعقوب ٤: ٥-٧:

... الرُّوحُ الَّذِي حَلَّ فِيْنَا ... يُعْطِي نِعْمَةً عَظْمًا. ... فَأَخْضَعُوا لِلَّهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرَبَ مِنْكُمْ.

هنا، يعلم يعقوب أن النعمة التي ننالها من الروح القدس تقوّينا للحرب الروحية، وفي هذه الحال، عن طريق حفظنا أوفياء لله ومساعدتنا على مقاومة التجارب الشيطانية وتأثيراتها.

أول ما يقوم به الروح القدس ليقوّينا ويجعلنا مستعدّين للحرب الروحية هو أن يجعلنا ندرك حقيقة وجود عالمٍ روحيّ. فنحن نميل إلى تصديق ما يمكننا أن نراه ونشعر به. غير أنّ إدراكنا لوجود عالمٍ روحيّ نقع تحت تأثيره ولنا فيه معارك، أمرٌ في غاية الأهمية. فالروح القدس يجعلنا نعي أولاً وجود عالمٍ روحيّ، ويوبّخنا على الخطية. ومن ثمّ يقوّينا الروح القدس لنتغلّب عليها. كذلك يقودنا الروح في الصلاة وانخراطه معنا في المعركة على هذه الجبهة هو دور حيوي له في حياتنا.

—الدكتور إريك ثيونيس

في أفسس ٦ استخدم بولس استعارة درع الجندي وأسلحته ليصف الطرق التي يحمينا فيها الله في الحرب الروحية. وهو يتحدث بالتحديد عن لبس المسيحيين سلاح الله الكامل. استمع إلى ما يقوله في أفسس ٦: ١٢-١٣:

فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وِلَاةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةٍ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَحْمَلُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلِ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشَّرِيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمَمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَتَّبَنُوا.

ثم في العددين ١٧ و١٨، أكمل بولس بقوله إن الروح القدس لعب دوراً حاسماً في تشكيل هذا الدرع وكان الحافز لنا والقوة في المعركة. استمع إلى ما يقوله:

وَأَخُذُوا ... سَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ. مُصَلِّينَ ... كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ.

إلى حين عودة يسوع لينهي ما بدأه، يدعونا العهد الجديد إلى الانخراط في الحرب الروحية ضد القوى غير الطبيعية التي ما زالت تعمل في عالمنا. وبعدها بأن الروح القدس سيعطينا الأدوات والقوة لنقوم بذلك. وكما يقول بولس في ٢ كورنثوس ١٠: ٤:

إِذْ أَسْلِحَتُهُ مُحَارِبَتَنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللَّهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ.

فأسلحتنا لها قوة إلهية لأنها تأتي من الروح القدس. وهي فعّالة ضد كل خطر روحي، بدءاً بالتعاليم الكاذبة وانتهاءً بالشيطان نفسه.

فلنقبل هذا الواقع أنّ الشرير ينكّد حياتنا على الأرض. وعندما يحصل ذلك، فإن السؤال الذي

يطرح نفسه هو، هل من أمل بالنجاة؟ هل أترك لمصيري؟ هل يدرك الله ما يحصل لي، ويفعل شيئاً حياله؟ والجواب الذي يرنّ في مسامعنا هو، نعم، إنه يدرك كل ذلك، فقد وهبنا قدرة وافية لنتغلب على أي هجوم يشنه الشرير. ساقراً من رسالة يوحنا الأولى، "كُلُّ رُوحٍ لَا يَعْتَرِفُ بِبِسُوءِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ. وَهَذَا هُوَ رُوحٌ ضِدَّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ. أَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَوْلَادُ، وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ لِأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ". وعد الله بأن لنا قدرة أعظم، إنه صراع من أجل السيطرة. للشرير قدرة لا يستهان بها، أكثر من تلك التي لنا لكن الله معنا.

—السيد ستيف دوغلاس

بعد أن رأينا كيف يبرهن الله عن إحسانه في الحرب الروحية في العهد القديم وفي العهد الجديد، لننتقل إلى الطريقة التي يحمي بها شعبه ويحارب ضد أعدائهم في كتاب الرؤيا.

كتاب الرؤيا

أعتقد أنّ ما يعلّمه كتاب الرؤيا، لا سيما في الفصل ١٢، هو أنّ ما يحصل على الأرض مرتبط بالذي يحصل في السماوات، وأنّ الحرب الروحية تتعلق بما يجري في التاريخ وبما يحصل فعلاً في حياتنا، وأنّ القوى الروحية متداخلة في التاريخ، وأنّ التنين العظيم الشيطان يعمل وهو وراء سلطة الوحش، وهؤلاء الاثنان مرتبطان، والحماية التي يحتاجها المسيحيون هي لكنائس وجماعات فعلية متواجدة في أماكن مثل لأودكيّة وأفسس، لكنّ حمايتهم هي في الحمل، حمايتهم هي في الحمل المقام من بين الأموات. وبالتالي يوجد ارتباط بين ما يحصل في السماويات مع الشيطان ويسوع، والحرب التي تدور هناك ظهرت أيضاً في التاريخ، ليس فقط في القرن الأول لكن نراها أيضاً الآن من خلال ما يحدث في العالم اليوم، والتجارب التي يمرّ بها المؤمنون كامتحان لإيمانهم. ليست القوى السياسية فقط التي تنشط بل أيضاً الأرواح الشريرة.

—الدكتور غريغ بيري

ينبّه يوحنا المسيحيين في كل كتاب الرؤيا إلى الصراع الروحي الدائر منذ سقوط البشرية في الخطيئة، وأنه سيستمر حتى عودة المسيح ثانية. ويصف يوحنا رمزياً هذا الصراع الروحي كحرب بين الوحش والمرأة في الرؤيا ١٢، والحرب مع الوحش الطالع من البحر والوحش الذي على الأرض في الرؤيا ١٣. وقد أراد يوحنا أن يعرف قراؤه أن الاضطهاد الذي يكابدونه، والتجارب التي يمرّون بها، نتجت مباشرة عن الصراع الروحي بين المسيح وأعدائه. ومثل العهد القديم أشار يوحنا إلى أن المعارك الروحية بين الملائكة والأرواح الشريرة أثرت في السياسات البشرية. ونرى ذلك على سبيل المثال في الطريقة التي اجتمع فيها ملوك الأرض ليحاربوا ضد الله في الرؤيا ١٦:

١٤-١٦. ومثل آخر واضح هو التفسير أن رؤوس الوحش في الرؤيا ١٧، وكذلك قرونه، هم ملوك بشريون. وبالطبع، كان قرّاء يوحنا المعاصرون له يتألمون من الحكومات الأرضية التي كانت تتحرك ولو جزئياً بتأثير من الأرواح الشريرة.

لكن مثل العهد الجديد، شرح يوحنا أيضاً أن المعارك الروحية التي حاربها قرّؤه في زمنه جرت بصورة رئيسية في المجال غير الطبيعي.

فتلك كانت نزاعات شخصية لتبقينا أمناء للمسيح، ومقاومين للخطية، ومن أجل تقدم ملكوت الله من خلال الإنجيل. إن الحرب الروحية ليست دعوات لحمل السلاح ضد غيرنا من البشر. لكن في كل الأحوال - سواء أكان يتحدث عن صراعات كونية، أم سياسات بشرية، أم صراعات بين أفراد كان يوحنا يؤكد لقراءه أن الله هو حافظهم الرؤوف. وهو يحفظهم من كل هجمات، ويقويهم ليقوا أمناء، وبمنحهم في النهاية سلاماً دائماً.

يشدّد كتاب الرؤيا كثيراً على موضوع الحرب الروحية. فهو يصوّر انقساماً جذرياً بين الله والمسيح وخدامه من جهة، وبين الشيطان وخدامه من جهة أخرى. وهذا ليساعدنا على فهم أنّ المسألة مسألة ولاء. هل تتبع الله أم تتبع ذاتك وبالتالي تنتمي إلى مملكة الشيطان؟ إنّ إدراكنا لهذا الانقسام الجذري مهمّ جداً بالنسبة إلينا. والأمر الآخر الذي أرغب أن ألفت انتباهكم إليه هو أنّ المسألة أيضاً هي فحص التزاماتنا. فحسب أين تتجه عقولنا، وقلوبنا وليس سلوكنا الخارجي فحسب. والأمر الثالث الذي أرى أنّه من المهمّ أن نكون منه على يقين هو أنّ الشيطان أبو الكذب، يخدعنا بأمر قريبة إلى الحقيقة لدرجة تجعلنا نتعلّق بها، إلّا أنّها أمور مزيفة، والتعرّف على شخصيته المخادعة لكن المغرية على حدّ سواء، هو أحد تحدياتنا اليوم.

—الدكتور فيرن بويثرس

وكرّد على الضغوط والمشاكل التي تسببها الحرب الروحية، يقدّم كتاب الرؤيا لقراءه ثلاث طرق مختلفة على الأقل ليفكروا في حماية إلههم التامة. أولاً، يشدّد على أن المسيح قد سبق وضمن الانتصار لكل شعبه الأمين. يشدّد كتاب الرؤيا أن حياة المسيح وموته ودفنه وقيامته وصعوده ضمن انتصارنا النهائي في الحرب الروحية. ويصوّر الفصلان ٤ و٥ من الرؤيا هذا الانتصار بوضوح، ويصوّران يسوع كالخروف المذبوح الذي وُجد مستحقاً أن يفتح ختم الدينونة على أعداء شعب الله. وانتصار يسوع على أعدائه لم يضع حداً للقتال. لكنه ضمن أن أعداءه سيهلكون في النهاية وسيستبارك شعبه الأمين. بهذا المعنى، يصبح إحسان الله وحمانيته بمثابة ضمانة لنا في الانتصار. ولا يمكن أن نفشل في الغلبة لأن انتصارنا هو في ملكية المسيح الكاملة. ونحن بكل بساطة يجب أن نواظب حتى يتم ذلك.

والطريقة الثانية التي من خلالها يجذب كتاب الرؤيا انتباهنا إلى حماية الله الوافية في الحرب الروحية هو بتذكيرنا أن الروح القدس يطبّق الآن انتصار المسيح على حياة المؤمنين. عندما قام المسيح بضمّان انتصارنا في الحرب الروحية، ربح الحق في مشاركة بركات ذلك الانتصار مع

شعبه الأمين. ومن خلال إحسانه، عيّن الروح القدس ليطبّق تلك البركات على حياتنا، أو بعبارة أخرى أن يوزع تلك البركات علينا.

يتعلق الكثير من تلك البركات الثمينة بأمر نراها في كتاب الرؤيا. على سبيل المثال، سقوط الإمبراطورية الرومانية. في الواقع، كل القوى التي كانت تسعى عبر التاريخ إلى تدمير الكنيسة لم تنجح. وبدلاً من أن ينهزم ملكوت الله نما وامتد إلى كل أمة وقبيلة وشعب ولسان. وبحسب الرؤيا ٧، سيتمّ هذا الملكوت عمله في النهاية. أما الطريقة الثالثة التي يسلّط فيها كتاب الرؤيا الضوء على حماية الله الوافية في الحرب الروحية، هي بتذكيرنا أنه عند عودة المسيح، سينهي الله هذه المعركة القائمة بإتمام انتصاره على أعدائنا الروحيين بإبادتهم إلى التمام.

يطمئننا كتاب الرؤيا أنه عند رجوع المسيح سيهلك الشيطان وأتباعه بالكامل، فسيصبحون عاجزين بالكامل عن تجربتنا أو إزعاجنا. فقصاصهم سيحدّهم بشكل كبير بحيث يكون من المستحيل أن يحاربونا فيما بعد. والرؤيا ١٧ و ١٨ يصفان عقاب الزانية العظيمة، بابل، وعقاب كل الملوك وكل سكان الأرض الذين تبعوها. ويروي لنا الرؤيا ٢٠، الهزيمة النهائية للتتين وجيوشه. ويعلمنا الرؤيا ٢١ و ٢٢ أن السماء الجديدة والأرض الجديدة ستكونان خاليتين تماماً من وجود الشر.

وعندما تُسَلّ قوة كل أعداء الله، ستنتهي الحرب الروحية الكبرى، وسيعيش شعب الله الأمين في سلام مستمر. وهذا سيكون التعبير النهائي عن إحسان الله وحمايته؛ وسنكون في أمان كامل إلى الأبد. يمكننا أن نرى إحسان الله في كل سفر الرؤيا وهو يسدّد حاجات شعبه ويحميهم. فقد اشترى المسيح الانتصار لشعب الله على الصليب، وقام من جديد ليطبّق انتصاره على كل شعب الله الأمين. وفي الوقت الحاضر، تختبر الكنيسة هذا الانتصار جزئياً. ولنا وعد الله الأكيد أنه عند رجوع المسيح، سنتمتع بالكامل بهذا الانتصار. وسيدان كل أعداء المسيح، وسننال ميراثنا المجيد في السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

بحثنا حتى الآن في درسنا عهد الملكية بين الله والمسيح كملك سيد وملك خادم، واستكشفنا كيف يلقي كتاب الرؤيا الضوء على إحسان الله نحو شعب عهده. وبتنا الآن مستعدين أن ننقل إلى موضوعنا الرئيسي الثالث: الولاء الذي يطلب منا الله أن نظهره كمواطنين في ملكوته.

الولاء

وكما رأينا، هناك على الأقل ثلاثة أوجه لعلاقتنا مع الله تشبه اتفاقات أو معاهدات الملوك الأسياد القدامى: إحسان الله نحونا كشعبه؛ الولاء أو الطاعة التي يطلبها منا الله كملكوته التابع؛ ونتائج البركات كاستجابة للطاعة، واللعنات كاستجابة للعصيان. ونريد عند هذه النقطة أن نركّز على الخدمة الأمنية التي يتوقعها الله من الشعب الذي خلصه بنعمته.

عندما كتب كتاب الرؤيا، كان الرسول يوحنا مدرّكاً لعلاقة الكنيسة مع الله من خلال العهد. وأحد أهداف كتابته كانت تشجيع الكنائس في آسية الصغرى لكي تبقى أمينة للرب وسط التحديات التي كانت تواجهها. فقد أرادهم أن يتذكروا كل اللطف الذي أظهره الله لهم، كذلك البركات التي عرضها الله عليهم، لكي يعيشوا في طاعة أمينة

للرب.

كما ذكرنا في درس سابق، فإن الكنائس التي وجهت رسائل الرؤيا إليها واجهت الكثير من التجارب لتساوم على ولائها لله. وواجه قراء يوحنا الأولون على الأقل أربعة أنواع من التجارب ليخرجوا عن ولائهم لله: التجربة الأولى، كانت لنقابات التجار آلهتهم المناصرة الخاصة، وطلبوا من أعضاء نقاباتهم أن يعبدوا تلك الآلهة المزيّفة. وهذا وضع المسيحيين أمام تجربة المشاركة في العبادة الوثنية لينالوا فرصة للعمل وإدارة تجارتهم. التجربة الثانية، طلبت الإمبراطورية الرومانية من رعاياها أن يعبدوا آلهتها وإمبراطورها. وهذا وضع المسيحيين تحت تجربة عبادة الآلهة الوثنية ليتجنبوا القصاص من الحكومة. التجربة الثالثة، وضعت اليهودية ضغوطاً على المسيحيين ليتخلوا عن المسيح. تمتعت اليهودية بعفو خاص من العبادة الوثنية، وقد شمل هذا العفو المسيحية في البداية. لكن مع ابتعاد اليهودية عن المسيحية، لم يعد ذلك العفو يشمل الكنيسة. وهذا وضع العديد من المسيحيين اليهود أمام تجربة التخلي عن المسيح والعودة إلى اليهودية التقليدية، لكي يتجنبوا الاضطهاد الروماني. التجربة الرابعة، ساوم مسيحيون معاندون في كل الإمبراطورية الرومانية على إيمانهم عن طريق مشاركتهم بممارسات وثنية وفجور جنسي. وشجعوا الآخرين على الحذو حذوهم. ووضعت هذه التجارب تحديات كبيرة أمام أمانة الكنائس في آسيا الصغرى. في هذا الإطار، كان تعزيز الولاء لله أحد الأسباب الهامة التي كتب يوحنا من أجلها بغرض حماية تلك الكنائس من المجموعات المنافسة. نركز في موضوع الولاء على تعبيرين رئيسيين يوجدان في كل كتاب الرؤيا: الثبات والعبادة. لننظر أولاً إلى دعوة كتاب الرؤيا إلى الثبات.

الثبات

يمكن تعريف الثبات كما يلي:

هو البقاء أمناء لله في الإيمان والسلوك على الرغم من التجارب والمقاومة وتثبيط العزيمة.

الثبات هو الانتصار على كل قوة تدفعنا إلى التخلي عن إيماننا بالله أو التمرد عليه. كرد فعل على التجارب العديدة التي واجهها المؤمنون في آسيا الصغرى، دعا يوحنا قراءه تكراراً إلى الثبات والانتصار. ونجد هذه التحذيرات في كل رسالة من الرسائل إلى الكنائس في الرؤيا ٢ و ٣ وفي بقية كتاب الرؤيا. ونجد هذه التحذيرات في الرسائل في الرؤيا ٢: ٢٦، ١٧، ١١، ٧، ٣: ٢١، ١٢، ٥. كما نجد في مواضع مثل الرؤيا ١٤: ١٢، ١٦: ١٥، ١٨: ٤، ٢٠: ٤، ٢١: ٧، ٢٢: ١٤، ١١، ٧. ولا نبالغ عندما نقول إن الثبات هو من المواضيع الأبرز في كل كتاب الرؤيا.

تظهر لغة الانتصار مراراً في القسم الرئيسي من كتاب الرؤيا تماماً كما رأيناها في الرسائل إلى

الكنائس السبع. ففي ١١: ٧ و ١٣: ٧ نرى الوحش أو الشرير، يحارب القديسين ويغلبهم أو يغلب الشاهدين، الناطقين باسم الله ويقتلها. ثم في الرؤيا ١٢: ١١ نرى مشهداً سماوياً آخر للصراع عينه، وهذه المرة الشهود هم الذين يغلبون، ونعلم من القرينة أنهم غلبوا الشيطان، غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت. ويكمل كتاب الرؤيا كلامه فيخبرنا كيف يقف هؤلاء الغالبون أمام عرش الله لأنهم انتصروا على الوحش كما انتصر الحمل المذبوح. هو الأسد الغالب، لكن كتاب الرؤيا يصوره كحمل. فكما أن الأسد صار حملاً وانتصر باستشهاده، فقد انتصر شعب الله ليس بمحاربة العالم، بل من خلال إيمانهم بالله وشهادتهم له، فحتى إن كان العالم لا يقدم لنا إلاّ الأسوأ، فنحن غالبون لأننا ننتمي إلى الله ذاته. فقد كان لكل من الكنائس السبع في آسيا الصغرى تجربتها الخاصة وقد دعيت كل واحدة لتثابر وتغلب. ونحن أيضاً لكل منا امتحانات وتجارب مختلفة. قد نحسد أحدهم على تجاربه وقد ترعبنا تجربة أخرى، لكن لنا جميعنا تجاربنا الخاصة وكلّ منا مدعو لأن يغلب. فهما كانت التجربة، يأتي الوعد في نهاية كتاب الرؤيا ٢١ إلى الذي يغلب، وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً.

—الدكتور غريغ كينر

سنشير إلى خمسة أنواع من الثبات التي سلط يوحنا عليها الضوء في كتاب الرؤيا، بدءاً من الثبات في الإيمان.

في العبرانين ١١: ١، يعرف الكتاب المقدس الإيمان بهذه الطريقة:

وَأَمَّا الْإِيمَانُ فَهُوَ التَّقَهُ بِمَا يُرْجَى وَالْإِيْقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى.

قد يكون من الصعب أن نتق بالله عندما لا تعكس ظروف حياتنا أشكال الحماية والشعب والبركة التي نقرأ عنها في الكتاب المقدس. فعندما تسوء الأمور بالنسبة لنا، من السهل أن نظن أننا ارتكبنا خطأ، أو أننا خدعنا، وأن إله الكتاب المقدس ليس حقيقياً، ونحن لا ندين له بأي ولاء. وهذا ينطبق على القرن الأول بقدر ما ينطبق علينا اليوم. من هنا، كان أحد أبرز اهتمامات يوحنا من خلال كتابته لسفر الرؤيا، إقناع قرائه بأن الأمور هي في الواقع مغايرة تماماً عما تبدو عليه. فالعالم أسوأ بكثير مما يبدو، وملكوت الله أعظم بكثير من أي أمرٍ يمكنهم تصوّره. واجه قراء يوحنا الأولون الكثير من التجارب ليصدقوا أن أموراً مثل الآلهة الوثنية والإمبراطورية الرومانية هي مصدر بركة عظيمة. ظاهرياً، بدت تلك القوى عظيمة، توفر الأمن والمتعة والازدهار. بينما في المقابل كانت الحياة المسيحية شاقة جداً. فواجه المؤمنون صعوبات في العمل. فقد كانوا مضطهدين من الحكومة. ولم تقدم الكنيسة أي شيء مثل المتع الدنياوية التي توقّرها الديانات الوثنية. وقد جعلت هذه التجارب من السهل على الكنائس في آسيا الصغرى التخلي عن إيمانها بالله وإبداله بإيمان من العالم.

كردّ على هذه الظروف يشدّد يوحنا على ضرورة أن يتقوى قراؤه بالإيمان. أرادهم أن يكونوا واتقين بإيمانهم، وبأن أنظمة العالم ليست جيدة كما تبدو، وأنه مهما كانت الحياة المسيحية قاسية، فهي الطريق إلى الأمان الحقيقي،

والسرور والازدهار.

لهذا السبب، يصف كتاب الرؤيا تكراراً القوى الدنيوية الأثيمة والشهوات بأنها شنيعة، وبغیضة، وخذاعة وفسادة. نعم! إن مملكة الشيطان وأتباعه تلبس لباساً جميلاً. لكن إن تمكنا أن نراها على حقيقتها، فسنبتعد عنها بسبب بشاعتها. وهذا الأمر ما زال صحيحاً اليوم.

مهما قامت الخطية بإغرائنا، ومهما كانت الحياة صعبة ومثبطة للعزيمة لنا كتلاميذ للمسيح، فمن الضروري أن نثبت في إيماننا بأن الله هو بالفعل كما أعلن عن نفسه، وأنه سيفعل ما وعد به، وأنه سيباركنا إن نحن بقينا أمناء له.

على الرغم من أن الثبات في الإيمان هو أهم أنواع الثبات، يشدد كتاب الرؤيا على أن الإيمان الحقيقي يبرهن عن نفسه من خلال أنواع أخرى من الثبات أيضاً. على سبيل المثال، نوع ثان من أنواع الثبات مذكور في كتاب الرؤيا هو المحبة الراسخة لله.

يدعو كتاب الرؤيا جميع المؤمنين لكي يبقوا محبتهم لله نشيطة وقوية. على سبيل المثال، في الرؤيا ٢: ١٩، مدح الرب الكنيسة في ثباتها، لتعبيرها عن ثباتها في المحبة والإيمان. في المقابل في الرؤيا ٢: ٤، وبخ كنيسة أفسس لخسارتها محبتها الأولى. وهذا الفشل كان كبيراً بحيث هدّد الرب بإزالة منارتها، أي أنه هدّد بإزالة الكنيسة. أما النوع الثالث من الثبات المشار إليه في كتاب الرؤيا يتعلق بشهادتنا المسيحية للآخرين.

كانت الكنائس الوقية للمسيح في زمن يوحنا في تناقض صارخ مع حضارة الشعوب حولها. من هنا صور يوحنا الكنائس السبع في الرؤيا ٢ و ٣ كمنارات تضيء في ظلمة العالم. وكما تعلّمنا الرسالة إلى أفسس، عندما كان المسيحيون يساومون مع العالم، كانوا يخسرون شهادتهم المميّزة، وكان ذلك يخمد إلى حد بعيد شهادتهم في العالم. ونجد أمراً مشابهاً في الرؤيا ٧: ١٠، حيث تجمعت جماهير غفيرة بالثياب البيض حول العرش لتسبح الله بتكرار التصريح الذي هو شهادتهم إلى العالم: الْخَلَّاصُ لِإِلَهِنَا. فالخلاص ليس في قيصر أو في أي مصدر آخر، بل فقط في عمل يسوع المسيح، حمل الله. وهذه الحقيقة الفريدة جعلت من شهادة المؤمنين هامة بشكل حاسم. فغير المؤمنين كانوا بحاجة لأن يروا أن عبادتهم الشخصية كانت مزيفة ومخدوعة، وأن الكنيسة وحدها امتلكت الرسالة الحقيقية حول الحياة والرجاء.

أما النوع الرابع الذي من خلاله دعا كتاب الرؤيا المسيحيين إلى الثبات هو في الطهارة الأخلاقية. نجد التشجيع على الطهارة الأخلاقية غالباً في الرسائل السبع إلى الكنائس. على سبيل المثال، في الرؤيا ٢: ١٧-١٢، وبخ يسوع الكنيسة في برغامس على قبولها الذين ارتكبوا خطايا جنسية، وأيضاً على تشجيعها الآخرين على الاشتراك بتلك الخطايا. وفي الرؤيا ٣ ١٤-٢٢ وبخ يسوع الكنيسة في لأودكية على انشغالها بالأمور الدنيوية بسبب إعطائها للغنى والثروة قيمة أكبر من ولائها للمسيح.

أما النوع الخامس من الثبات الذي دعا إليه كتاب الرؤيا فهو التمسك بالتعليم الصحيح.

هناك العديد ممن يعتقدون أنهم يحبون الله. لكن إن كانت الفكرة التي لديهم عن الله الحقيقي فكرة خاطئة تماماً، فإنهم كلما أكثروا من عبادة الله على طريقتهم، كلما ازدادوا بعداً عنه. فالتعليم هو أساس الخدمة، مثل الشجرة التي لا نرى جذورها وهي تمتد تحت التراب. كثيرون

يرون أغصانها وثمارها لكنهم لا يرون كيف توفّر الجذور الغذاء لتلك الثمار كي تنمو. فالعديد من المسيحيين السطحيين اليوم لا يولون اهتماماً للتعليم، لكنّ المسيحيين الأتقياء يعلمون أنّ التعليم هو أساس كلّ شيء.

—القس الدكتور ستيفن تونغ

يدعو كتاب الرؤيا بانتظام المؤمنين للتمسك بالتعليم الصحيح، وأن لا يتساهلوا مع الأفكار الدنيوية. على سبيل المثال، في الرؤيا ٢: ١-٧، مدح يسوع الكنيسة في أفسس بسبب أمانتهم للتعليم المسيحي الصحيح، ولحسن تمييزهم بين الرسل الحقيقيين والرسل الكذبة. وويخ الكنيسة في ثياتيرا في الرؤيا ٢: ٢٠-٢٣ بسبب تساهلها في مسائل عقائدية، لا سيما تسامحها مع النبوة الكاذبة إيزابل.

يدعو كتاب الرؤيا الكنيسة إلى الثبات بعدة طرق متنوعة. لكن المسيحيين الذين يواجهون تحديات في هذه النواحي لا يعرفون دائماً كيف يتصرفون لينتصروا على المحن والتجارب والآلام التي يواجهونها. لكن كتاب الرؤيا لا يأمرنا فقط أنه يجب علينا أن نثبت. بل يعطينا أيضاً تعليمات عملية لكيفية القيام بذلك.

أظنّ أنّ الخطوات العمليّة التي يمكن أن نتخذها لنثبت في وجه التجارب ... نجدها في كتاب الرؤيا المليء بكل أنواع الفوضى أو غيرها من الظروف التي مرّ بها المسيحيون. ومن الملفت للنظر أنّ الخطوات العمليّة هي ذاتها الموجودة في كل الكتاب المقدس، ومفادها أن شعب الله مدعوون ليكونوا أمناء ويطيعوا التعليم الذي تعلموه وأعلن لهم. فهم مدعوون ليكونوا جماعةً واحدة، ليبقوا معاً، ليؤمنوا معاً، ويعبدوا معاً، ويشهدوا معاً. فأياً كان المحيط ومهما كان الاضطهاد، فإن ثباتنا يتركز على ما يريدنا الله أن نكونه كل الوقت، بغض النظر إن كانت الأمور جيّدة أو سيئة، وهو أن نعيش حياة مقدسة. لذلك أجد كتاب الرؤيا وسائر الكتب المشابهة له، مصدر تشجيع لنا؛ وهي تحثنا كي نحيا حياة القداسة، وندرك أن الأمر ليس مستحيلاً. فحتّى في أقسى الظروف، يجب على شعب الله أن يتمسكوا بوسائط النعمة، ويجاهروا باسم المسيح، ويعيشوا حياةً بازة بحيث يختلف موقفهم من الشرّ عن أولئك الذين هم خارج المسيح.

—الدكتور ويليام يوري

ينزع كتاب الرؤيا حجاب الخداع الذي تروّج له حكومات بشرية شريرة تقاوم الله. وهو يكشف عن جمال وروعة ملكوت الله وقوة المسيح. وهو يبيّن لنا أن الله يحب شعبه ويعد بأن يباركهم في ملكوته المجيد. وهو يؤكد لنا على البركات المستقبلية التي سننالها في السماء الجديدة والأرض الجديدة، إن كنا نثبت إلى النهاية. باختصار، هو يعطينا كل سبب لنكون مخلصين لله ونثبت في أمانتنا طوال حياتنا، وعبر التاريخ، إلى حين عودة المسيح ليجدّد كل شيء.

لم يقدر الموت أن يُمسك المسيح بعد صلبه، فقام في اليوم الثالث من بين الأموات. وأمر مشابه ينطبق

على الظروف الحالية في العالم. فالكثير من القوى والجماعات الأرضية تقاوم الله، والكثير من شعب الله يتألمون. يمكن لذلك أن يجعل الحياة مُحِبَطَةً. لكن يجب أن نتذكر أنه عندما تكون الحياة أكثر إحباطاً، يبقى الله مسيطراً على الوضع، وتبقى مصالحننا في لب اهتماماته. ومهما حدث، فهو سيفي بوعوده. فالأمانة الحاضرة لا تقاس بالمجد الذي سننالُه عند عودة المسيح. ويجب أن يدفَعنا ذلك لنثبت في إيماننا، والتزامنا، ونبقى راسخين في المحبة، ونستمر بشهادتنا، ونحافظ على نقاوة عقيدتنا وحياتنا. فكما أن ظلمة موت المسيح تَبَعَهَا نورُ قيامته، فإن ظلمة صعوباتنا الحاضرة سيبتعها في النهاية نورُ عودته وملءُ ملكوته.

بعد أن رأينا كيف يحثنا كتاب الرؤيا على الثبات في ولائنا لله، لننظر إلى الطريقة التي يشجعنا فيها لنعبّر عن ولائنا له في عبادتنا.

العبادة

على الرغم من حقيقة أن قرّاء يوحنا الأولين كانوا يعانون من اضطهاد كبير، فإن كتاب الرؤيا يشدّد بصورة بارزة على العبادة. يصوّر الرؤيا ٤ و٥ مشهداً مذهلاً عن العبادة في البلاط السماوي، مع أربعة وعشرين شيخاً جالسين على عروش حول عرش الله، وأربعة كائنات حيّة تطير في البلاط وتسبح الله. وتظهر مشاهد عبادة في حوالي نصف فصول الرؤيا ٢٢.

وعلى الرغم من أن ذلك قد يفاجئنا في البداية، فإن كتاب الرؤيا يربط بوضوح الأمل والعبادة. وبغض النظر عن ظروفنا الحاضرة، حتى في أوقات الضيق، يبقى الله كاملاً، قدوساً وصالحاً. وهو يعمل في كل الأشياء معاً من أجل فائدتنا النهائية، بحيث يباركنا في الدهر الآتي بميراثنا الكامل في المسيح. وفي الوقت الذي يقدم لنا كتاب الرؤيا أسباباً عدة لنعبد الله، سنركّز في هذا الدرس على ثلاثة أفكار موجزة في الحمد المقدم لله من قبل الشيوخ الأربعة والعشرين في الرؤيا ٥.

استمع إلى ما أعلنه الشيوخ في الرؤيا ٥: ٩-١٠:

لَأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لِإِلَهِنَا مَلُوكاً وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الْأَرْضِ.

أشار الشيوخ إلى ثلاثة أسباب على الأقل لتسبيح الله. أولاً، المسيح اشترى أو افتدى شعبه من كل قبيلةٍ ولسانٍ وشعبٍ وأمةٍ. ثانياً، عين المسيح هؤلاء الأشخاص المقيدين ملوكاً وكهنة. وثالثاً، ضمن أنهم في المستقبل سيملكون على الأرض.

إن بحثنا في موضوع الولاء المعبر عنه في العبادة يتوازي مع هذا التشديد المثلث للرؤيا ٥: ٩-١٠. أولاً، نرى أن عمل فداء المسيح في الماضي يجعل الله يستحق العبادة. ثانياً، نركّز على عبادة الله لأنه أعطانا الإكرام في الحاضر من خلال تعييننا لنكون كهنة ملكوته. وثالثاً، نرى أنه يستحق عبادتنا بسبب البركات التي سننالها في المستقبل عندما سنملك على السماوات الجديدة والأرض الجديدة. لننظر أولاً إلى عمل فداء المسيح في الماضي.

الفداء الماضي

يبين كتاب الرؤيا تكراراً أن الله يستحق العبادة من دون كل خلائقه. وهو يعطينا صوراً جميلة كيف يعبده القديسون في السماء. وأحد الأسباب التي يقدمها كتاب الرؤيا لعبادة الله، هو عمل الخلاص الذي أتمه المسيح من أجلنا.

يقدم لنا كتاب الرؤيا ١٤: ١-٤ صورة جميلة للفداء الذي سبق ولنناه في المسيح. في العدد ١ يصف يوحنا المؤمنين بأن لهم اسم الخروف واسم الأب مكتوبان على جباههم. وكتب يوحنا في العدد ٤ أن المؤمنين قد اشتروا من بين الناس، وأنهم قدموا لله وللخروف قرباناً. واستجابة لهذا الخلاص العظيم، قدم المؤمنون العبادة والتسبيح لله، معبرين عن شكرهم في ترنيمة جديدة.

يجب أن تكون لكل مؤمن الاستجابة ذاتها مع الخلاص الذي ناله. فالمسيح اشترانا جميعاً، وقدّمنا جميعاً قرباناً لله وللخروف. ويجب أن نتجاوب جميعاً بالشكر والتسبيح عابدين الله والمسيح بفرح وترنم.

عندما نواجه ضيقات، من السهل بالنسبة لنا أن نشك بصلاح الله وننسى عطاياه الصالحة التي أعطانا إياها في خلاصنا، عطايا مثل الغفران، واسترداد العلاقة مع خالقنا وربنا والحياة الأبدية.

ونحتاج أن نتذكر دائماً أن الفداء الذي سبق وأتمه يسوع من أجلنا وشملنا به يجعل يسوع مستحقاً لعبادتنا، بغض النظر عن ظروفنا. فابن الله أحبنا إلى درجة أنه جاء إلى عالمنا الشرير هذا، ليحتمل آلاماً رهيبية واضطهاداً مريعاً، وليموت على الصليب من أجل خطايانا. ولا يوجد ألم أو مشقة في هذا العالم يمكن مقارنتهما بالألم الذي تحمّله المسيح من أجلنا. وهذا يجعله مستحقاً لكل عبادة وتسبيح وحمد.

والآن بعد أن نظرنا كيف أن عمل المسيح في الفداء في الماضي يجب أن يلهم عبادتنا المخلصة، لننتقل إلى الإكرام الذي أعطانا إياه الله في الحاضر إذ جعلنا مملكة كهنته.

الإكرام الحاضر

في الوقت الحاضر، الله يتربع على العرش في هيكله السماوي. وهو يدعو شعبه على الأرض ليكونوا كهنة ملكوته.

في العهد القديم، كان كلا الملوك والكهنة مكرّمين جداً لأن الله اختارهم ليمثّلوه في علاقته مع شعب عهده. وقد أُعطي لهم أن ينجحوا في هاتين الوظيفتين بمقدار ما كانوا أمناء لله كملكهم الأعظم. ونرى ذلك فيما يتعلق بملوك العهد القديم في مقاطع مثل ١ ملوك ٣: ١٣-١٤، وإرميا ٣٤: ٤-٥ ودانيال ٤: ٣٤-٣٧. ونرى الارتباط بين ولاء الكهنة وإكرامهم في أماكن مثل ٢ أخبار ٢٦: ١٨ ومراثي إرميا ٤: ١٢-١٦.

لكن على الرغم من أن قلة فقط اختيروا في العهد القديم كملوك وكهنة، فإن العهد القديم تطلع إلى اليوم الذي فيه كل شعب الله الأمناء سيكونون ملوكاً وكهنة على الأرض.

وكما أخبر الله إسرائيل في الخروج ١٩: ٥-٦:

فَلَا نَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ
الْأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً.

وفق كتاب الرؤيا، الزمان الذي تطلع إليه العهد القديم بات حاضراً اليوم. فالكنيسة هي اليوم مملكة كهنة تملك على الأرض. ونرى ذلك بوضوح في الرؤيا ٥: ٩-١٠ و ٢٠: ٦، ومشار إليها ضمناً في مقاطع أخرى.

كما تعلمون في الخروج ١٩ قال الله لبني إسرائيل إنه اختارهم ليكونوا مملكة كهنة، كهنوته الملكي. وقد استخدم بطرس في العهد الجديد لغة الكلام ذاتها الواردة في الخروج ١٩ ليشير إلى الكنيسة. إذاً يجب ألا يقتصر هذا المنظور على شعب إسرائيل القديم ككل، بل يجب أن ينطبق أيضاً على المسيحيين ككل، فنكون مملكة كهنة، وشعباً مختاراً، مملكة كهنة عظيمة. أعلم أنه في كثير من النواحي قد يبدو ذلك غريباً، لأننا عادة عندما نفكر في الكهنة نظن أن لهم أعمالاً محددة ليقوموا بها؛ كأن يقدموا الذبائح، ويرفعوا الصلوات، ويقوموا بالترنيم، وتفكر فيهم ينفخون الأبواق في جوقة موسيقية أو ما شابه. لكن في الحقيقة يخبرنا الكتاب المقدس أن كل نشاط أرضي مقبول ومعين من الله من البداية إلى النهاية، هو عمل كهنوت ملكي بالنسبة للذين يخدمون الله. فليست المسألة كما لو أن ثمة أموراً نقوم بها لنخدم الرب ونعبده، وأموراً أخرى نقوم بها لأنفسنا لا نفع منها البتة. بل بالحري، فإن كل أمر صغير نقوم به كمسيحيين يجب أن يكون من القلب، كما للرب، لأنه بالفعل للرب، سواء كان ذلك ستة أيام العمل، أو النوم أو تربية أولادنا. مهما كان النشاط الذي نقوم به، فهو نشاط كاهن ملكي، لأن مهمتنا هي نشر قداسة الله في العالم بانتظار حلول العالم الجديد حيث كل من استبقي سوف يعيشون على هذه الأرض النقية، الطاهرة، المقدسة، وسوف يخدمون الله إلى الأبد ككهنة في مملكته.

—الدكتور ريتشارد برات الابن

بالطبع هناك نتائج كثيرة تترتب على هذه الحقيقة. مثلاً، المسيحيون هم سفراء المسيح على الأرض. ونحن مدعوون لنخدمه ونخدم البشرية. ونحن ملزمون بإدارة الأرض بمسؤولية وكل ما يتطلبه ذلك. لكن النتيجة التي سنركز عليها في هذا القسم من درسا هي أن هذا التكريم لنا يجب أن يحثنا على عبادته له المجد.

على سبيل المثال، في الرؤيا ٥: ٨-١٤، يوجد مشهد جميل للعبادة في البلاط السماوي. وكجزء من هذا المشهد، فإن الكائنات الحية الأربعة، والأربع والعشرين شيخاً جميعهم كانوا يسبحون ويعبدون يسوع الحمل بالقيثارات، والترنيم والبحور.

استمع إلى ما كانوا يرثون من أمانة الله في الرؤيا ٥: ١٠:

وَجَعَلْنَا لِإِلَهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمَلِكُ عَلَى الْأَرْضِ.

أحد الأسباب الوجيهة ليستحق يسوع عبادتنا، هو أنه كرم شعبه في الحاضر عن طريق تعيينهم ليخدموه ككهنته وكمملوك يملكون على الأرض.

ونجد شيئاً مشابهاً في الرؤيا ٤: ١٠-١١. في ذلك المقطع، تجاوب الشيوخ في السماء مع الإكرام والسلطان الملكي اللذين مُنحا لهم فأتوا وسجدوا أمام يسوع واضعين أكاليلهم عند قدميه وهم يسبحونه.

ويوجد مثل آخر على ذلك في الرؤيا ٧ حيث عدد لا يُحصى من المؤمنين خُتموا كخُدّام الله، فتجاوبوا مع النعمة والإكرام اللذين وهبا لهم بحمدهم الرب على صلاحه ورحمته وقدرته.

وفي الرؤيا ١: ٥-٦، قدم لنا الرسول يوحنا نفسه نموذجاً عن هذا السلوك. استمع إلى ما قاله هناك:

الَّذِي ... جَعَلْنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ.

يبين لنا يوحنا في هذين العديدين أن على الكنيسة في كل العصور أن تتجاوب مع الإكرام الذي نالته بالقيام بعبادة الرب الذي باركها كمملكة لكهنوته.

يبدو الحديث عن خدمة الله أو تمجيدِه أمراً غريباً، حين ندرك أن الله مستنقل ومكتفٍ بذاته ولا يعوزه شيءٌ. إلا أننا في علاقتنا معه بإمكاننا أن نسرّه بطريقة طاعتنا له وعبادتنا إياه أو بحياة الأمانة التي نحياها. وبالتالي إن أمانتنا اليومية وطاعتنا اليومية وكذلك عبادتنا تمجد الله وتجلب البهجة إلى قلبه. في الحقيقة، ذلك هو الحافز الأهم لنحيا كمسيحيين. فليست المسألة مسألة خوف من أن تحصل لنا أمورٌ رديئة أو نثير غضب الله، بل رغبتنا في أن نجلب البهجة إلى قلب خالقنا من خلال طريقة عيشنا.

—الدكتور إريك ثيونيس

نحن ننسى أحياناً أن المؤمنين ككهنة يخدمون في الواقع الرب في السماء. أي أننا نقوم بالخدمات التي تُبقي العبادة سارية في الهيكل السماوي، وتُرضي رب الهيكل. كمثال، تؤكد لنا الرؤيا ٥: ٨ أن صلوات القديسين هي جامات من ذهب مملوءة بالبخور في هيكل الله السماوي. وفي الرؤيا ٨: ٣-٥ ترتفع هذه الصلوات أمام الله وهو يتجاوب معها بحكمه العادل على مذنبي الأرض.

يتشرف شعب الله اليوم بكونهم مملكة كهنة. فقد أتى بنا الله إلى ملكوته وكلفنا بمهمة نشر ملكوته في كل العالم. وبصفتنا كهنته، لنا شرف خدمته في هيكله السماوي. فكر بهذا- نحن نعمل مباشرة عند خالق الكون كله وحاكمه. وهو قد منحنا السلطان على كل خليقته، وبصغي إلى صلواتنا بانتباه، ويستخدم تلك الصلوات كوسائل يبارك من خلالها شعبه الأمين ويدين أولئك الذين يقاومون ملكه. كيف نتجاوب مع هذا الشرف العظيم؟ نفعل ذلك بتقديمنا الطاعة مع شكرنا له ومن خلال عبادتنا الصادقة.

بعد أن نظرنا إلى عمل يسوع في الفداء في الماضي والكرامة التي لنا في الحاضر، صرنا مستعدين أن نرى أن الله يستحق عبادتنا الوفية بسبب البركات التي وعدنا بها في المستقبل.

البركات المستقبلية

يدعو كتاب الرؤيا الكنيسة إلى عبادة الله بسبب البركات العظيمة التي سيهبها لها يوم المجازاة، عندما نبدأ ملكنا الأبدي مع المسيح على السماوات الجديدة والأرض الجديدة. إحدى الطرق التي تشجعنا على عبادة الله هي بتوفير أمثلة لنا لنتبعه.

انظر إلى مثل الشيوخ في السماء في الرؤيا ١١: ١٦-١٨:

وَالأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا الْجَالِسُونَ أَمَامَ اللَّهِ عَلَى عُرُوشِهِمْ خَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَسَجَدُوا لِلَّهِ قَائِلِينَ: نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الْإِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، لِأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ الْعَظِيمَةَ وَمَلَكَتْ... فَأَتَى... زَمَانُ الْأَمْوَاتِ لِيُذَانُوا، وَلِتُعْطَى الْأُجْرَةُ لِعِبِيدِكَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْقَدِيسِينَ وَالْخَائِفِينَ اسْمَكَ، الصَّغَارِ وَالْكَبَارِ، وَلِيُهْلِكَ الَّذِينَ كَانُوا يُهْلِكُونَ الْأَرْضَ.

في هذه الرؤيا، رأى يوحنا يوم الدينونة المستقبلي. في ذلك اليوم، سينال كل شعب الله الأمان مكافآت أبدية، ويُجازى كل أعداء الله بالهلاك الأبدي. كجزء من هذا المشهد، راقب يوحنا الشيوخ وهم يعبدون الله لأنه باركهم بالمكافآت وبدد أعداءهم. فهمت الكنائس في زمن يوحنا من خلال هذا المثل، أن الله يستحق عبادتنا أيضاً الآن في الزمن الحاضر، لأننا وعدنا بهذه البركات المستقبلية ذاتها.

مثل آخر يمكن أن نجده في الرؤيا ٧: ٩-١٠، حيث نقرأ ما يلي:

وَإِذَا جَمَعَ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالْأَسِنَّةِ، وَأَقْفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْحَمَلِ، مُتَسَرِّبِينَ بِثِيَابٍ بَيْضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعْفُ النَّخْلِ وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: الْخَلَاصُ لِإِلَهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ.

إن الجمع الذي وصفه يوحنا في هذا المقطع، كانوا متسرلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخل. ووفق الرؤيا ٧: ١٤-١٧، فإن الثياب البيض ترمز إلى البركات التي نالوها. فقد جاءوا من الضيقة العظيمة وخطاياهم قد عُفرت بدم المسيح. علاوة على ذلك، أُدخلوا إلى ملكوت الله الأبدي ونالوا المكافأة الأبدية. وكيف تجاوزوا مع الله؟ تجاوزوا بعبادته. وكان مثالهم مشجعاً لقراء يوحنا الأولين ليفعلوا الأمر ذاته، بسبب البركات ذاتها التي ستوهب لهم أيضاً. وهذا ينطبق على المؤمنين في كل عصر.

وأمر مشابه ينطبق على سعف النخل التي حملها الجمع. فيحسب اللاويين ٢٣: ٤٠، فإن سعف النخل كانت تستخدم باستمرار في عيد المظال للإشارة إلى الخلاص النهائي الذي سيقدمه الرب. وعندما دخل يسوع أورشليم

في دخوله الظافر في يوحنا ١٢، نقرأ في تفاصيل القصة أن الجمع استقبلوه بسعف النخل، دلالة على إيمانهم أنه لكونه المسيح قد جاء بملكوت الله الموعود. من هنا سعف النخل التي كان يحملها الجمع في رؤيا يوحنا تشير على الأرجح إلى أن الشعب قد نالوا البركات المستقبلية بعبادة الشخص الذي باركهم. فيسوع قد انتصر على أعداء الله. ويمكن لكل مؤمن أن ينظر إلى الأمام، إلى البركات المستقبلية العظيمة، سواء في السماء عندما نموت، أو في السماوات الجديدة والأرض الجديدة عندما يعود المسيح. وهذا يعطينا جميعاً السبب لنسبح ونعبد إلهنا المنتصر.

عندما نفكر بما يعنيه فعلاً أن نعبد الله، غالباً ما ننظر إلى ترتيب الخلق، وننظر إلى فهمنا لصليب المسيح ولمغفرة خطايانا، وإلى كوننا أصبحنا أولاد الله بالتبني. ننظر إلى كل هذه الأمور كما لو أنها صارت ملكنا الآن. ويمكننا أن نردد مع داود في المزمور ١٩ السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْقَلْبُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. إننا نرى الجمال في كل ما يحيط بنا ونشكر الله على كل ذلك. ثم نتأمل في لغة الكتاب المقدس وحديثه عن عمل المسيح الذي قد أكمل وعن الامتيازات التي لنا كأبناء الله وكشعب تبرر من خطاياه، ونسبح الله لأجل ذلك. إلا أن أحد العناصر التي يشير إليها الكتاب المقدس هو أن البركات التي وعدنا بالحصول عليها في المستقبل هي أوفر وأبهي بكثير من البركات التي نلناها في الوقت الحاضر.

—الدكتور توماس نيتلز

يستحقُّ اللهُ عبادتنا على الأمور التي لم تتم بعد في حياتنا، لأننا متأكدون من أنها ستتم حتماً. فالإيمان المسيحي مبني على الأمل والثقة بصلاح الله المطلق وقدرته. من هنا، عندما يعدُّ الله بأمر، لا بد أن يتحقق وعده. لذلك يمكننا أن نسبحه ونعبده بسبب يقيننا بأن كلامه سيتم. يمكننا أن نعبد الله على كل ما فعله، ويفعله الآن وسيفعله في المستقبل.

—الدكتور إريك ثيونيس

إن موضوع الولاء لله مُعبّر عنه بطرق عدة في سفر الرؤيا. لكن كما رأينا، فإن سفر الرؤيا يسلم الضوء على العبادة والثبات كأفضل طريقتين نعبر من خلالهما عن ولائنا لله في العالم الحاضر. بالطبع، هذا ليس سهلاً دائماً. في الواقع، كلما تألمنا أكثر، كلما كان من الصعب أن نثبت، وكلما قلّت رغبتنا في العبادة. لكن أوضح يوحنا أنه حتى في أسوأ الأوقات، يعطي الله شعبه القوة التي يحتاجونها ليبقوا أمناءً له. كذلك أشار يوحنا إلى أنه لدينا الكثير من الأسباب لنعبد الله أيّاً كانت ظروفنا الحالية، وذلك بسبب الخلاص الذي نلناه في الماضي، والإكرام الذي نتمتع به في الحاضر، والبركات المجيدة التي سننالها في المستقبل. والآن وقد تناولنا في بحثنا ملكية الله وإحسانه ودرسنا الولاء الذي يطلبه منا، بتنا مستعدين أن ننظر إلى ما يقوله كتاب الرؤيا عن النتائج التي تنتج عن ولائنا أو عدم ولائنا لله.

النتائج

سنركز في هذا القسم على النتائج التي ستترتب على البشرية عند عودة المسيح ليحقق ملكوت الله بكل ملئه. ويشير كتاب الرؤيا إلى العديد من المكافآت والبركات للطاعة والكثير من العقوبات لعدم الطاعة. وعدد كبير من هذه البركات والعقوبات يمكن أن نختبرها في العالم الحاضر. لكننا في هذه المرحلة من درسنا، سنركز على النتائج التي ستستتب عودة المسيح.

يتطلع كل المؤمنين المسيحيين إلى الوقت الذي سيعود فيه المسيح ليحاسب الأبرار والأشرار في الدينونة الأخيرة. وقد أشرنا في درس سابق إلى أن هذه الدينونة النهائية مصورة في حلقات من الدينونة في الرؤى الأربع التي شاهدها يوحنا. ومع أن الجميع لا يتفق مع هذا الرأي، فإن معظم المسيحيين يقرّون بالطبيعة العامة للدينونة التي يصورها يوحنا.

إن الدينونة النهائية هي النتيجة الضرورية للعهد الذي قطعه الله مع المسيح كالمملك الخادم. فالمسيح يملك كملك، ويعمل على تجديد السماء والأرض، بحيث تُظهر الخليقة مجد الله بالكامل. ولكي يتم ذلك يجب أن يكافأ الصلاح وبيبارك، في حين يجب أن يعاقب الشر والعصيان على حكم الله ويقضى عليهما. فنحس الآن نتائج الولاء وعدم الولاء لله على قسمين. أولاً، ننظر إلى العقوبات النهائية التي تنزل بالذين لم يكونوا أمناء لله. ثم سنتناول البركات النهائية للسموات الجديدة والأرض الجديدة التي ستمنح للأمناء. لننظر أولاً إلى اللعنات النهائية على أعداء الله.

اللعنات النهائية

يدرج كتاب الرؤيا أربعة عناصر على الأقل متضمنة في اللعنات النهائية على أعداء الله. اللعنة الأولى التي سنشير إليها هي هلاك التتين والوحش والنبي الكذاب.

قاوم التتين وأتباعه الله في كل التاريخ البشري. كان الشيطان في جنة عدن، وأغرى حواء لتأكل من شجرة معرفة الخير والشر. وحاولت قواته أن تهزم الله وملكوته منذ ذلك الحين. لكن عند عودة يسوع، سينهزم الشيطان أخيراً بصورة كاملة. ويرد في الرؤيا ١٩:١٩-٢٠ تعليم أن الوحش والنبي الكذاب سيؤسران ويلقيان في بحيرة النار. ويعلم الرؤيا ٢٠: ٩-١٠ أن التتين نفسه سينهزم ويلقى في بحيرة النار حيث لن يعود قادراً على أن يؤدي أحداً من شعب الله الأمناء إلى الأبد. وكل القوى الشيطانية التي حاربت إلى جانبه ستشاركه هلاكه الأبدى.

اللعنة الثانية النهائية ستكون هزيمة الملوك والأمم المعادية.

يصف كتاب الرؤيا في الكثير من المواضع هلاك الملوك والأمم المعادية لله. على سبيل المثال، يشرح لنا الرؤيا ٦: ١٥-١٧ كيف أن ملوك الأرض وكذلك قادة الجيوش، والأغنياء والعظماء، تمنوا لو أن الجبال تسقط عليهم لتتقدم من دينونة الحمل. وتشير الصورة هنا إلى دينونة المسيح لكل السلطات البشرية التي تقاوم حكمه.

في الرؤيا ١٩: ١٥-٢١، يظهر يسوع على حصانه الأبيض وهو يقود جيوش السماء، ويضرب ملوك الأرض لكي يحكم مكانهم.
في الرؤيا ١٦: ١٩، يجعل الرب بابل تشرب من:

كأس خمرٍ سَخَطِ غَضَبِهِ.

وكما رأينا في درس سابق، ترمز بابل إلى البشر والقوى الحكومية التي تقاوم ملك المسيح. ويصوّر هذا العدد بشكل واضح كيف أن كل هذه الأمم وحكامها سيقعون رغماً عنهم تحت عقاب الله الكامل بسبب عصيانهم. أما اللعنة الثالثة النهائية ستكون إدانة غير المؤمنين.
ليس فقط الملوك والأمم الخصوم سيهلكون عند رجوع المسيح، بل إن كل سكان المدن غير المؤمنين سيواجهون الدينونة الأخيرة كنتيجة مباشرة لعصيانهم الشخصي على الله. فكمثال في الرؤيا ١٤: ١٧-٢٠ جمع ملاكان كل غير المؤمنين على الأرض ورمياهم مثل عناقيد عنب في "مَعَصْرَةَ غَضَبِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ". وفي الرؤيا ٢٠ تم طرح كل الذين أسماؤهم غير مكتوبة في كتاب الحياة في بحيرة النار.
استمع إلى وصف يوحنا لتلك العقوبة في الرؤيا ٢٠: ١٢-١٥:

وَرَأَيْتُ الْأَمْوَاتِ صِغَارًا وَكِبَارًا وَاقْفِينِ أَمَامَ اللَّهِ، وَأَنْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ. وَأَنْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرَ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينِ الْأَمْوَاتِ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ ... وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوْجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بَحِيرَةِ النَّارِ.

وصف يوحنا هنا العقاب المستقبلي لغير المؤمنين جميعاً. فسيُطرح كل واحد منهم في بحيرة النار ليقعوا تحت العقاب الأبدي لأنهم أخطأوا ضد الله.

عندما نفكر في العالم من حولنا، لا سيما غير المؤمنين، ما الأفكار التي ينبغي أن تراودنا؟ ما يجب أن يكون موقفنا نحوهم؟ قد نميل أحياناً إلى أن ننظر إليهم نظرة فوقيّة خصوصاً إن كانوا قد أساءوا معاملتنا أو سخروا منا. لكنّي أعتقد أنّ يسوع كان يريد منا أن نتعامل معهم كمن يرغب في خدمتهم، وأن نعطف عليهم كأشخاص ضالّين لأننا لا نعلم من منهم سيرجع إلى الله. لذا نريد أن نخدمهم بالكرامة بالإنجيل آملين أن يتجاوبوا معنا. من ناحية أخرى، عندما نفكر بالدينونة، ماذا يجب أن يكون موقفنا عندئذ؟ وهنا أعتقد أنّه ينبغي أن نشعر بشيء من الشفقة والأسى عليهم. وعندما سنرغب في أن نريح ضمائرنا ونقول إنّنا أحببناهم عندما اغتبننا الفرصة لنخبرهم بالبشارة وأنه لن يكون بإمكانهم أن يدلّوا علينا بالأصبع ويقولوا "كنتم تعلمون، فلماذا لم تخبرونا عن المسيح؟" لذا يجب أن نحيا معهم والمستقبل في أذهاننا، فلا نحكم عليهم مسبقاً، بل نخدمهم ونساعدهم ليجدوا خلاصهم في المسيح.

—الدكتور جون ماكنلي

بما أن كتاب الرؤيا يظهر بوضوح أن كل أعداء الله سوف يدانون ويهلكون في الدينونة الأخيرة، ينبغي أن يكون موقفنا نحو غير المؤمنين شهادة شجاعة، ورحوماً، ومتواضعاً. شجاعة لأننا نعلم أن النصر هو للمسيح في النهاية. يجب ألا نهاب التهديدات التي قد يتوعدنا بها غير المؤمنين ممن يبغضون ديانتنا والذين يكرهون ربنا. وفي الوقت عينه علينا أن نشفق على حالهم، إذ نحن ندرك أن تأخر رجوع المسيح هو، كما يخبرنا كتاب الرؤيا، من أجل استقطاب ولم كل شعب الله. فحتى الأحكام التي تظهر من خلالها عناية الله والتي تتلازم مع الأبواق هي علامات إنذار، أصوات تحذيرية، تدعو الناس إلى التوبة. بالطبع هم يقبلون إلى التوبة من خلال الإنجيل، ولذا ينبغي أن نتكبد عناء الشهادة للمسيح. ونحتاج أيضاً إلى أن نتواضع فكلما تذكرنا أن التمرد على الله ستكون عاقبته الدينونة، ننتبه إلى الهلاك الذي نحن نستحقه. فنحن لسنا أرفع شأننا من غير المؤمنين اليوم. فقد كنا ذات مرة أعداء لله لكنه جعلنا بنعمته نتحد بالمسيح بالإيمان.

—الدكتور دينيس جونسون

ومهما بدت لعنات الدينونة الأخيرة مرعبة، يجب أن نتذكر أنها عادلة بالكامل. فسيُدان غير المؤمنين لأنهم يستحقون أن يُعاقبوا بسبب عصيانهم. فإله ملك على خليقته، وعصيانه هو شرّ وتمرد. ومهما كان الاعتراف بذلك مؤلماً، فإن عدالة الله تتطلب معاقبة الخطية والعصيان. بهذا المعنى، يكون عقاب الأشرار جانب رئيسي في الملك البار لله.

والآن بعد أن رأينا كيف أن عواقب الخطية وعدم الأمانة سكبت في الدينونة النهائية نستطيع أن نقدر البركات التي ستمنح إلى شعب الله الأمين في السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

البركات النهائية

في دينونة الله النهائية على الخطية، ستتأصل من هذا العالم كل القوى الحكومية والروحانية التي تقاوم حكمه، وسيُدان معهم أيضاً جميع الذين لم يؤمنوا. وبعد أن تتطهر الخليقة من أعداء الله، سيتجدد الكون نفسه، وينتج عنه السماوات الجديدة والأرض الجديدة لشعب الله الأمين ليعيش ويتمتع فيها إلى الأبد.

تصف الأعداد ١-٥ من الرؤيا ٢١ الخليقة الجديدة بهذه الطريقة:

ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءَ جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً، لِأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى مَضَتَا، ... وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: ... الْأُمُورُ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ. وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا.

نشير هنا إلى ثلاث بركات نهائية للسموات الجديدة والأرض الجديدة التي قال يوحنا إن الأوفياء لله سينالونها. أولاً، سيكون هناك إصلاح وتجديد كامل للخليعة.

تجديد الخليعة

يُخبرنا العدان ١ و ٤ من الرؤيا ٢١ أن السماء الأولى والأرض الأولى قد مضتا، مبيّنة أنها ستزول بمعنى ما. ونجد أفكاراً مشابهة في مواضع مثل ٢ بطرس ٣: ١٠-١١، إذ يتحدثان عن دمار العالم الحاضر لإفصاح المجال أمام العالم الجديد.

لكن الرؤيا ٢١: ٥ تصف السموات الجديدة والأرض الجديدة بلغة التجديد، ما يدل على أنها بدل أن تزول بالكامل، فإن الخليعة القديمة سُنجد أو تُصلح. وهذه الفكرة ذاتها موجودة في مقاطع مثل رومية ٨: ١٩-٢٢. وتعلمنا هذه المقاطع بأنه سيكون هناك استمرارية جوهرية بين الخليقتين وليس مجرد تشابه. وتعلن الأعداد ٢٤-٢٦ من الرؤيا ٢١ أن مجد الأمم وكرامتهم سيأتيان إلى أورشليم الجديدة، كإشارة إلى أن النواحي المفدية من حياتنا الحاضرة سنحملها معنا إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة.

ونتيجة لذلك، استنتج معظم اللاهوتيين أن الخليعة الحاضرة لن تتزع بالكامل وتُستبدل، بل إنها ستتحول جذرياً.

لا شك في أنه يوجد في كتاب الرؤيا عناصر في أورشليم الجديدة تعكس لنا، أو بالحري تتطابق مع صور نجدها في التكوين ٢ و ٣ في بداية الخلق، كشجرة الحياة مثلاً. ويجب أن نسأل أنفسنا علام يدل ذلك؟ قد يكون هناك عدة طرق لتفسير الأمر، لكن نستنتج من قراءة بسيطة لكتاب الرؤيا أنه ستكون هناك عناصر في أورشليم الجديدة تنسجم تماماً مع الخلق كما قُدم لنا منذ البداية. فمن جهة، سيكون هناك تغييرات، مع بداية العصر الجديد، لكن هذا التغيير لن يكون شاملاً. فستكون هناك بقايا من تلك الخليعة التي صنعها الله في البداية، تلعب دوراً وتؤثر في الخليعة الجديدة. فلن نشهد إذاً استبدال واقعٍ بآخر، بل بالحري تحوُّلاً للواقع الحالي، نوعاً من الإصلاح أو التجديد، إلى هذا الواقع الجديد. وصور ورموز مثل شجرة الحياة تساعد على تسليط الضوء على الاستمرارية بين هذين الواقعين.

—السيد برادلي جونسون

وهذا التحول سيكون عن طريق التجديد، جاعلاً العالم حتى أفضل مما كان عند خلقه. فالخليعة كلها ستكون مقدسة وظاهرة، وملائمة بالكامل ليسكنها الله.

وكما أعلن الملاك في الرؤيا ٢١: ٣-٤ ٢١: ٣-٤:

هُؤدَا مَسْكُنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ
إِلَيْهَا لَهُمْ. وَسَيَمَسُحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا
صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ.

ناحية أخرى مهمة عن تجديد الخليقة مذكورة في الرؤيا ٢٢: ٣، حيث نقرأ:

وَلَا تَكُونُ لَعْنَةٌ مَا فِي مَا بَعْدُ.

في السماوات الجديدة والأرض الجديدة، تُرفع اللعنة التي وضعها الله على آدم وحواء في جنة عدن. وتوضح مقاطع مثل التكوين ٣: ١٧-١٩؛ ٥: ٢٩ و ٨: ٢١ أن السماوات القديمة والأرض القديمة قد فسدت تماماً نتيجة سقوط البشرية في الخطيئة. والأرض تقاوم محاولاتنا في زرع الطعام. والحيوانات البرية تهاجمنا. أما الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات، والزلازل والأعاصير فتسبب الألم للكثير من الناس حول العالم. وتسبب الجراثيم الأمراض، وأحياناً تكون قاتلة.

لكن عندما يعود المسيح، سيجرّ العالم من كل مظاهر هذه اللعنات. وقد وصف يوحنا بركات الخليقة الجديدة بطرق متنوعة، بما فيها أورشليم الجديدة، المدينة المقدسة، مزيّنة كعروس وتشعّ بمجد الله. وأحد أثنى الرموز التي استخدمها يوحنا في هذه القرينة هو صورة نهر الحياة الذي يتدفق عبر أورشليم الجديدة ويروي شجرة الحياة. استمع إلى ما ورد في الرؤيا ٢٢: ١-٢:

وَأَرَانِي (الملك) نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لَامِعًا كَبُلُورٍ خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللَّهِ وَالْحَمَلِ. فِي وَسْطِ
سُوقِهَا وَعَلَى النَّهْرِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ شَجَرَةٌ حَيَاةٍ ... وَوَرَقُ الشَّجَرَةِ لَشِفَاءِ الْأُمَّمِ.

تصور لنا هذه الأعداد الجميلة نهراً متدفقاً من عرش الله الذي يروي شجرة الحياة، وهي بدورها تشفي الأمم. وهذه المواضيع تعود جميعها إلى كتاب التكوين. ويتحدث التكوين ٢: ١٠ عن نهر يتدفق من عدن ويروي جنة عدن وشجرة الحياة. ويُشار إلى هذا النهر كنهـر النعم في المزمور ٣٦: ٨، كنهـر سواقية نُفِّحُ مَدِينَةَ اللَّهِ فِي الْمَزْمُورِ ٤٦: ٤.

ونجد بحثاً مطولاً عن هذا النهر في حزقيال ٤٧: ١-١٢. في رؤيا حزقيال تدفقت قطرات من المياه من الهيكل ونمت وصارت نهراً كبيراً إلى درجة لا يمكن عبوره. والمياه جلبت الحياة حيثما تدفقت، حتى إنها حولت مياه البحر الميت المالحة إلى مياه عذبة.

استمع إلى ما قاله الله عن هذا النهر في يوثيل ٣: ١٧-١٨:

فَتَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ سَاكِنًا فِي صِهْيُونَ جَبَلِ قُدْسِي. وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مُقَدَّسَةً وَلَا يَجْتَازُ
فِيهَا الْأَعَاجِمُ فِي مَا بَعْدُ. وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الْجِبَالَ تَقْطُرُ عَصِيرًا وَالتَّلَالُ تَقِيضُ لُبْنًا

وَجَمِيعَ يَنَابِعِ يَهُودَا تَفِيضُ مَاءً وَمِنْ بَيْتِ الرَّبِّ يَخْرُجُ يَنْبُوعٌ وَيَسْقِي وَايِ السَّنْطِ.

في الرؤيا ٢٢ يصبح نهر الحياة هذا أكثر غزارة. وهو يتدفق من عرش الله والخروف، تماماً في وسط أورشليم الجديدة، مشيراً إلى أن المصدر النهائي لكل الحياة والشفاء هو الله نفسه. وفي رؤيا يوحنا، هذا المصدر الغني للحياة يروي شجرة الحياة التي هي على جانبي النهر. وتنتج الشجرة وفرة من الفواكه لها تأثير قوي إلى درجة أن أوراقها تستخدم لشفاء الأمم.

إذ نقرأ عن أورشليم الجديدة في نهاية كتاب الرؤيا، نرى العديد من العناصر التي تذكرنا بالوصف الذي ورد في كتاب التكوين وفي جنة عدن. وهناك سبب لذلك، وهو لأن أورشليم الجديدة هي حقاً تجديد للخليقة وإعادتها إلى الغاية الأصلية من وجودها. فنحن نرى الله يخلق الإنسان ويضعه في مكان مثالي. والحقيقة هي أنه في عدن كان مقدراً له أن ينمو وينضج ويصل ربّما إلى ذروة المجد، لكنّه انحرف طبعاً عن طريق المجد عندما رفض مخطّط الله وتحول عنه. لكننا نرى في عدن ما كانت غاية الله، وما الذي كان يريده للإنسان، لذلك نرى في أورشليم الجديدة استعادة تلك العلاقة المثالية بين البشر والله التي خلقنا من أجلها.

—الدكتور مارك ستراوس

عندما ننظر في كتاب الرؤيا نرى وصفاً لأورشليم الجديدة. ونرى أنها تحوي عناصر من جنة عدن كشجرة الحياة مثلاً. لماذا نرى هذا المشهد في أول سفر في الكتاب المقدس وفي آخر سفر منه؟ أعتقد أن ما يشير إليه ذلك جزئياً هو أن هناك إبطاً للدمار الذي جاء نتيجة الخطية وأن الله أعاد تصحيح كل شيء. فالخطية لم تلغ قصده، وهو لم يعد الأمور إلى الحالة التي كانت عليها في البدء بل أعادها إلى حالة الكمال. ليس إلى خليقة يمكن أن تسقط مرة أخرى، بل إلى خليقة ستثبت إلى الأبد.

—الدكتور جون ماكنيلي

عندما أخطأ آدم وحواء في جنة عدن، لعنهما الله وطردهما من الجنة، خصيصاً لكي لا يتمكن من الأكل من شجرة الحياة والعيش إلى الأبد. لكن عند عودة المسيح، سيروي نهر الحياة شجرة الحياة من جديد، وسيكون ثمر الشجرة في متناول جميع الأمم. وستشفى كل البشرية المفدية. ولن يكون هناك خطية فيما بعد، أو مرض أو وباء. ولن تحدث الكوارث الطبيعية من جديد. وستضبط الأمم نفسها في البرّ والسلام. وستظهر كل خليقة الله مجده بالكامل.

البركة الثانية النهائية التي سينالها شعب الله الأمين في السماوات الجديدة والأرض الجديدة هي أن العالم بكامله سيكون هيكلًا شاملاً لحضور الله.

الهيكل الشامل

وضع الله في كل العهد القديم، أماكن مقدسة حيث يتجلى حضوره بطريقة مميزة. ويشير التكوين ٣: ٨ إلى أنه سار في جنة عدن مع آدم وحواء. وتشير مقاطع أخرى من الكتاب المقدس إلى أن ذلك حدث لكون الجنة قدسه أو هيكله.

على سبيل المثال، يخبرنا التكوين ٢: ١٥ أن آدم وُضع في الجنة ليعملها ويحفظها. والكلمة العبرية للعمل في هذا العدد هي عَبد. والكلمة ليحفظها هي سَمَر. وهذا ملفت للنظر لأن في كتاب العدد ٣: ٨، استخدم موسى هذه الكلمات ليصف وظيفة الكهنة الذين خدموا في الهيكل. بكلمات أخرى، قام آدم وحواء بالعمل الكهنوتي في الجنة، وهذا يدل على أن الجنة هي قدس الله الأرضي.

بالإضافة إلى ذلك كان النهر والأشجار في هيكل حزقيال في الأيام الأخيرة في حزقيال ٤٧: ٧ تشبه إلى حد بعيد النهر في جنة عدن، بالإضافة إلى شجرة الحياة الموصوفة في التكوين ٢: ٩-١٠. ويشير حزقيال ٢٨: ١٣-١٤ إلى جنة عدن كجبل الله، ويستخدمان اللغة نفسها التي استخدمها العالم القديم للإشارة إلى الجبال التي بُني على قممها هياكل.

وبعد أن كانت جنة عدن بمثابة قدسه الأرضي، أظهر الله حضوره الخاص في خيمة الاجتماع. ونقرأ عن ذلك في الخروج ٤٠: ٣٤-٣٨.

وبعد خيمة الاجتماع، بدأ الله يظهر حضوره الخاص في الهيكل، كما نقرأ في مقاطع مثل ١ ملوك ٨: ١٠-١١، و٢ أخبار ٧: ١-٣.

ويشرح العبرانيين ٨: ٥ أن الغاية الحقيقية من هذه الأقداس الأرضية هي أن تكون نسخاً عن بلاط الله السماوي، حيث حضوره المميز جلي دائماً. لكن في السماوات الجديدة والأرض الجديدة، لن يقتصر حضور الله على مساحة صغيرة مثل جنة أو مبنى منفرد. بل سيعلم الله حضوره المميز في العالم بكامله. استمع كيف يصف يوحنا مدينة أورشليم الجديدة في الرؤيا ٢١: ٢٢-٢٣:

وَلَمْ أَرْ فِيهَا هَيْكَلًا، لِأَنَّ الرَّبَّ اللَّهَ الْقَائِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ وَالْخُرُوفُ هَيْكَلُهَا. وَالْمَدِينَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلَا إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لِأَنَّ مَجْدَ اللَّهِ قَدْ أَنْارَهَا، وَالْخُرُوفُ سِرَاجُهَا.

يتطلع كتاب الرؤيا إلى زمن لا يكون هناك حاجة إلى هيكل في أورشليم الجديدة. وبدل ذلك سيعلم الله حضوره الخاص في كل مكان. وهو سيبارك شعبه بسكناه بينهم، وتسير الأمم بنوره. وعندما يأتي ذلك الوقت، سيملا مجد الله العالم تماماً كما تضيء الشمس اليوم في النهار. وكما نقرأ في الرؤيا ٢١: ٣:

هُوَذَا مَسْكَنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ
إِلَيْهَا لَهُمْ.

في السماوات الجديدة والأرض الجديدة، سيكون حضور الله المميّز مع كل شعبه، في العالم أجمع. إن تجديد العالم يؤدي إلى وجود هذا الهيكل الشامل من نتيجة عمل يسوع المسيح. في الرؤيا ١، سار يسوع بين المناير السبع في البلاط السماوي، وهو يرمز إلى حضور الله بين الكنائس. لكن عند رجوع يسوع، سوف يثبّت ملكه الخاص على كل الخليقة، بحيث يصبح العالم كله هيكل الله، وسيجلى حضوره المميّز في كل مكان. البركة الثالثة النهائية التي ذكرها يوحنا، هي أن الله سيثبّت حكم يسوع المسيح الأرضي الأبدي كملك.

الحكم الأبدي

يشير الرؤيا ٢١ و ٢٢ إلى أن مركز الأرض الجديدة سيكون عاصمتها: أورشليم الجديدة. وفي وسط المدينة سيوجد عرش الله. ويرمز عرش الله إلى حُكمه كملك. وعند عودة يسوع سيتربع على عرش أورشليم الجديدة، ويحكم العالم أجمع بالنيابة عن الآب.

ويُشير ١ أخبار الأيام ٢٩: ٢٣ إلى أن الملوك الذين من نسل داود اشتركوا في مجد الجلوس على العرش في أورشليم الأرضية. لكن الملك الداودي الأخير وحده، يسوع المسيح، سيتربع على عرش أورشليم الجديدة، ووحده ملكه أبدي. وكل المفديين سيحيون معه في الخليقة الجديدة، مقّرين بسلطانه وقدرته، ساجدين بطاعة أمام عرشه مقدّمين له الكرامة والمجد، وكما نقرأ في الرؤيا ٢٢: ٥ سيملكون معه في ملكه الأبدي.

بعض الناس يعيش ٧٠ سنة وبعضهم ٨٠ وآخرون ٩٠ وأيضاً ١٠٠ وثمّ ينتهي العمر. لا توجد هذه الحال في الأرض الجديدة، فنحن نعيش فيها إلى الأبد. لماذا؟ لأنّ الرب يسوع المسيح سوف يكون معنا كل الأيام. قد تقولون ينبغي ليسوع أن يكون في السماء. كلاً هو ربّ السماء والأرض. سوف يبقى على هذه الأرض كابن الإنسان إلى الأبد. والآن ماذا تريدون بعد؟ تريدون أن تحبوا مع المسيح إلى الأبد أم أن تحبوا بدونه؟ لهذا، أنا أقول إنني أتطلّع لأكون مع الرب يسوع المسيح على هذه الأرض الجديدة إلى أبد الأبد.

—الدكتور سايمن كيستماكر

ملك المسيح في السماوات الجديدة والأرض الجديدة سيكون كاملاً تماماً. وهو سيوفّر كل ما يحتاجه شعبه. ولن يكون هناك أي خطية، أو فساد، أو مرض أو موت؛ لا شيء ينتقص من فرحنا. كل بركة من بركات عهد الله ستكون ملكنا إلى الأبد.

وكمؤمنين، يجب أن نتوق إلى المسيح ليملك في السماوات الجديدة والأرض الجديدة. ويجب أن نعيش في ولاء مخلص له الآن، حتى عندما نُجرب ونُضطهد، عالمين أنه بعد أن نبقى أمناء، سنشارك في البركة الأعظم التي افنكر فيها الله لخليقته.

الخاتمة

راجعنا في هذا الدرس كتاب الرؤيا عن طريق تركيزنا على مواضيع المَلِك وملكوته. كما فحصنا مفهوم الملكية، وبحثنا في الاحسان الملكي، وتأملنا بأهمية الولاء للملك، ووصفنا نتائج بركات الولاء، وعقاب عدم الولاء. إن رجاء كل المسيحيين هو أنه في يوم من الأيام سيعود ملكنا. وهذا الرجاء يدفعنا على الثبات، والتغلب على كل المحن التي نختبرها في الحياة. وأياً كانت المشقات التي نواجهها بسبب إيماننا، فهناك ما يكفي من الأسباب لنظهر ولائنا لله ومسيحه – لأننا نعلم أن كلمته حق. سيعود المسيح ثانية ليملك علينا ويكافئنا. وإلى أن يحدث ذلك، نثق بوعده لنا في خاتمة سفر الرؤيا: "نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيْعًا". ويجب أن يكون جوابنا: "آمِينَ. تعال أيها الرب يسوع".